بلغة النبيه

شرح

المقدمة في فضل العلم الشريف، وأهله، وطالبيه

تأليف أبي عبد الله رشيد بن مصطفى المغربي البربري

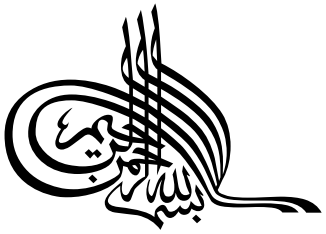

وعلى الله توكلت، فهو حسبي، ونعم الوكيل

الحمد لله الرافع بالعلم لقدر من شاء من خلقه بمقتضى عدله وحكمته، المفضل *سبحانه وتعالى* له على كثير ممن خلق بتعليمه، الواهب له شرفا يفوق به أهل زمانه بقدر ما يفتحه *تبارك وتعالى* عليه من العلوم النافعة.

وله الحمد *جل ذكره* على ما خص به أهل العلم، الذين هم أهل القرآن حقا، فجعلهم أهله *عز وجل* وخاصته.

وكانت المنقبة المذكورة في بيان شرف أهل العلم كافية إلا أن الله تفضل عليهم بمنقبة ثانية؛ إذ هم كذلك أهل الحديث فعلا، فيدعون بإمام المحدثين ﷺ ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ **[الإسراء: ٧١]**.

صلوات الله وسلامه على أشرف خلق الله، معلم الأمة، مخرجها من ضلال الجهل وظلماته، المرفوع في الدنيا والآخرة ذكرا ومنزلة لكمال علمه ﷺ كمالا يليق به؛ فإنه أتقى الناس لربه وأعلمهم به *سبحانه وتعالى*.

ثم الصلاة والسلام على آله المبلغين عنه ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة، وعلى الصحابة البررة، المرفوعين بعلمهم وعملهم به.

أما بعد فقد زارني قبل أيام بعض إخواني في الله من شقة بعيدة، فطلب مني أحدهم إلقاء درس أسبوعي له ولمن ترك وراءه من الإخوة عبر المواقع التواصل الاجتماعي، أو ما يسره الله من الوسائل للاتصال المباشر.

وأحببت تلبية طلبهم نشرا للخير الذي حملني الله إياه، ونهاني عن كتمانه.

وقد وقعت الخيرة على مقدمة كتاب "**الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف**" للعلامة محمد جار الله بن ظهيرة، وقد سماها المقدمة في فضل العلم الشريف، وأهله، وطالبيه، وما ورد فيه من الآيات العظيمة، والأخبار الكريمة، والآثار الجسيمة.

وإنما اختياري لذلك لما رأيت فيه من المناسبة لحال الطالبين وظروفهم؛ فإنها مع صغر حجمها جامعة لمهمات الموضوع، فعسى أن يكون في ذلك ما يقيض الهمم، ويرغب في طلب العلم، فيأخذ بزمام الأمور، ويسعى بجد...

حول المؤلف والمتن المشروح

لم أعثر لترجمة المؤلف على كبير طائل. بل إنما انحصر ذلك على ما سطره الزركلي في **"الأعلام"** (٧/ ٥٩-٦٠)، ومنه أغرف ما يلي... وعسى أن تكون هذه الأسطر كافية في التعريف بهذا العالم.

۞ اسمه ومذهبه:

هو محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة، جمال الدين، المكي، المخزومي، الحنفي.

وفي ضبط «ظهيرة» يقول العلامة الزبيدي في **"التاج"** (٣/ ٣٧٥):... وبنو ظهيرة، كسفينة...اهـ المراد بواسطة **"الأعلام"** (٧/ ٦٠)، الحاشية (١).

ويضاف لما تقدم قول المؤلف عن نفسه في أول كتابه **"الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف"**: محمد جار الله بن ظهيرة القرشي.اهـ المراد.

هذا دليل شرف نسبه، ولعل ذلك عمدة الزركلي لقوله فيه: فاضل.اهـ.

۞ مكانته العلمية:

قال الزركلي بعد ما تقدم: من أهل مكة، تقلد الإفتاء فيها.اهـ.

وقد ذكر المؤلف في مطلع كتابه المذكور جمعه له مما ألف في الموضوع دون تطويل ممل ولا اختصار مخل. بل توسط بما يهدف للمقصود بألفاظ ملتئمة.

والبادي من هذه الجهود الدلالة على تمكن من قام بها على نصيب وافر في علوم شتى. ويومئ إلى هذا المعنى قول العلامة الزبيدي كما في المصدر السابق عقب ما نقل منه: قبيلة بمكة منهم حفاظ، وعلماء، ومحدثون...اهـ المراد.

لكن مع البادي المذكور فقد سأل في آخر مقدمة كتابه المذكور بجاه النبي ﷺ! وفي هذا ما يشير إلى خلل في ما يتعلق ببعض مسائل التوحيد؛ إذ هذا السؤال توسل مبتدع، لم يفعله الصحابة رضي الله عنهم ولا التابعون لهم بإحسان!!

المتن المشروح:

اعلم أيها القارئ الكريم! -رحمك الله- أن المتن الذي قمت بشرحه هو مقدمة جعلها المؤلف في مطلع كتابه السابق الذكر، وسماها المقدمة في فضل العلم الشريف، وأهله، وطالبيه، وما ورد فيه من الآيات العظيمة، والأخبار الكريمة، والآثار الجسيمة.

وقد اعتمدت في نقل المتن المشار إليه على تحقيق الطبعة الأولى لمكتبة الثقافة الدينية، وقد جزم محققه (ص ٦) بحرصه على سلامة نص الكتاب.

وقد قامت دار الكتب العلمية سنة ١٤٢٧ هـ بطبع هذه المقدمة مستقلة عن بقية الكتاب، لكن وقع في هذه الطبعة سقط غير يسير للنص!

[مقدمة]

اعلم أن العلم شرف الإنسان وفخر له في جميع الأزمان، وهو العز الذي لا يبلى جديده...

قوله: ﴿العلم شرف الإنسان﴾ كان العلم أول ما أظهر الله سبحانه وتعالى به فضل النبي المكلم، أبي البشر، آدم عليه الصلاة والسلام، على الملائكة، قال الله تبارك وتعالى في ذلك: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة].

وكما شرف الله آدم عليه الصلاة والسلام بالعلم كذلك يشرف غيره ممن اتصف به، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

وكيف لا يكون العلم بهذه المنزلة السنية، وكان من أخذ به أخذ بحظ وافر؛ إذ إنما كان هو وحده إرث الأنبياء من لدن أولهم، أبينا آدم عليه الصلاة والسلام، إلى أشرفهم وخاتمهم، نبينا محمد ﷺ!؟

قوله: ﴿لا يبلى جديده﴾ ألا ترى ازدياد رفعة طالب العلم مع مضي الأيام إذا ثابر على تحصيل العلم حتى يبلغ في آخر حياته الكمال الذي أراده الله تبارك وتعالى له.

والكنز الذي لا يغني مزيده. وقدره عظيم، وفضله جسيم.

وتأمل في المقابل عز طالب علم من علوم الدنيا؛ إذ مآله إلى الاضمحلال مهما علا قبل ذلك، وارتفع، مصداقا لما أخرجه الإمام البخاري (٢٨٧٢) من حديث **أنس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء، لا تسبق -قال حميد: أو لا تكاد تسبق-، فجاء أعرابي على قعود، فسبقها. فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه، فقال: «**حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**».

قوله: ﴿والكنز الذي لا يغني مزيده﴾ في ما تقدم الإشارة إلى ما ورد من الدليل في كون العلم إرث الأنبياء، فكان لذلك كنزا لا يقوم غيره من كنوز الدنيا مقامه، فلا يغني المزيد منها مهما كثر عن العلم النافع. ومن هنا كان ظاهر مراد المصنف بكلامه كون العلم كنزا لا يغني المزيد من غيره عليه، فبالعلم يستغني العبد عما عداه.

في هذا المعنى ما ورد في شرح ما أخرج الإمام البخاري (٧٥٢٧) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**».

وأخرجه الإمام أحمد (١٤٧٦) من حديث سعد بن أبي وقاص، وقد ذكر له الحافظ معاني في "**الفتح**" (٩/ ٨٨)، أنسبها ههنا ما قال فيه: قد ارتضى أبو عبيد تفسير «يتغنى» بـ«يستغني»، وقال: إنه جائز في كلام العرب، وأنشد الأعشى:

وكنت امرءا زمنا بالعراق ... خفيف المناخ طويل التغني

أي: كثير الاستغناء، وقال المغيرة بن حبناء:

كلانا غني عن أخيه حياته ... ونحن إذا متنا أشد تغانيا

قال: فعلى هذا يكون المعنى من لم يستغن بالقرآن عن الإكثار من الدنيا فليس منا، أي: على طريقتنا. اهـ المراد.

[خشية العبد على قدر علمه]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] برفع ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ على الفاعلية، أي: إنما يخاف الله من عرفه حق معرفته، وهم العلماء.

وقال الحافظ (٩/ ٨٩) بعد ذكر معان أخرى: لكن الذي اختاره أبو عبيد غير مدفوع إذا أريد به الغنى المعنوي، وهو غنى النفس، وهو القناعة...اهـ المراد.

وفي تفسير الحديث بهذا المعنى ما نقله الإمام أحمد عن شيخه الإمام وكيع في حديث سعد بن أبي وقاص عقب إخراجه: قال وكيع: يعني يستغني به.اهـ.

قوله: ﴿إنما يخاف الله من عرفه حق معرفته﴾ قال العلامة الفيروزآبادي في **"بصائر ذوي التمييز"** (٤/ ٤٧): المعرفة إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره. يقال: «فلان يعرف الله»؛ لأن معرفة البشر لله إنما هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته.اهـ المراد بواسطة **"نضرة النعيم"** (٨/ ٣٤٣٦).

ومن ذلك قول الله جل وعلا: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

وفي آخر هذه الآية الإشارة إلى رد تدبر العبد لهذه الآيات بحسب ما فتح الله عليه من العلم. وأعظم ما يستعين العبد بعلمه للتدبر فيه آيات الله المتلوة.

قال الإمام ابن القيم كما في **"فوائد الفوائد"** (ص ٣٦) في أنواع معرفة الله:

...

الأول معرفة إقرار، وهي التي اشترك فيها الناس، البر، والفاجر، والمطيع، والعاصي.

والثاني معرفة توجب الحياء منه، والمحبة له، وتعلق القلب به، والشوق إلى لقائه، وخشيته، والإنابة إليه، والأنس به، والفرار من الخلق إليه.اهـ.

معرفة الله بالتفقه:

قال الإمام ابن القيم بعده بأسطر عن النوع الثاني: لهذه المعرفة بابان واسعان،

الباب الأول التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها والفهم الخاص عن الله ورسوله ﷺ.

والباب الثاني التفكر في آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها، وقدرته، ولطفه، وإحسانه، وعدله، وقيامه بالقسط على خلقه.

وجماع ذلك الفقه في معاني أسمائه الحسنى، وجلالها، وكمالها، وتفرده بذلك، وتعلقها بالخلق والأمر، فيكون فقيها في أوامره ونواهيه، فقيها في قضائه وقدره، فقيها في أسمائه وصفاته، فقيها في الحكم الديني، الشرعي، والحكم الكوني، القدري. و﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الحديد: ٢١].اهـ المراد.

من هنا يتضح حصر خشية الله سبحانه وتعالى، التي هي خوف مقرون بعلم، في من عرف الله جل وعلا حق معرفته، وهم العلماء.

وقد كان النبي ﷺ أشد الناس خشية لله؛ لأنه كان ﷺ أعلمهم بالله، فقد أخرج الإمام البخاري (٢٠) من حديث **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم -أمرهم- من الأعمال بما يطيقون، قالوا: «إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله! إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر»، فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه، ثم يقول: «**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**».

طلب العلم سبب ينال به محبة الله:

كلما ازداد علم العبد ازدادت خشيته، فينشأ من ذلك تشميره للعمل بعلمه، قال الله جل وعلا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

وعلى قدر تقرب العبد من ربه سبحانه بالعبادة تكون محبة الله له، أخرج الإمام البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته**».

فالعلم سبب ينال به طالبه محبة الله وولايته، وكفى بهما للعلم وطالبه شرفا!

وينال طالب العلم محبة الله له من جهة أخرى؛ فإن طلبه للعلم يتضمن تعلم سنن رسول الله ﷺ، ويقتضي ذلك اتباع الطالب له ﷺ فيها، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن آثار محبة الله لعبده وضع القبول له، أخرج الإمام البخاري (٣٢٠٩) والإمام مسلم (١٥٧)-(٢٦٣٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا، فأحبه**». قال: «**فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: «إن الله يحب فلانا، فأحبوه»، فيحبه أهل السماء**». قال: «**ثم يوضع له القبول في الأرض**»... الحديث.

وقرئ في الشواذ...

وممن يشمله الفضل المذكور في هذا الحديث طالب العلم لما تقدم من محبة الله له، وهو من رفعة الله جل وعلا لعبده الطالب للعلم في الدنيا. قال الإمام القرطبي رحمه الله في **"المفهم"** (٦/ ٦٤٤): يعني بـ«**القبول**» محبة قلوب أهل الدين والخير له، والرضا به، والسرور بلقائه، واستطابة ذكره في حال غيبته، كما أجرى الله تعالى عادته بذلك في حق الصالحين من سلف هذه الأمة ومشاهير الأئمة.اهـ المراد.

قوله: ﴿**وقرئ في الشواذ**﴾ على وزن الفواعل، جمع «الشاذة» الذي وزنه الفاعلة.

نقل العلامة الونشريسي في **"المعيار المعرب"** (١٢/ ١٤٩) في المراد بالقراءة الشاذة عن المقرئ محمد بن محمد القيجاطي أنه قال: كل ما صح إسناده عن إمام موثوق بعلمه وصحة إسناده صح العمل به. وما لم يكن كذلك فشاذ ومتروك.

وما صح إسناده على الوجه المذكور قسمان،

قسم اشتهر بين الناس، وكثر تداوله في ما بينهم.

وقسم لم يبلغ ذلك المبلغ.

فسمى المتأخرون من علماء الصنعة القسم الثاني شاذا. ولم يريدوا بذلك منع العمل به لمن صح عنده إسناده، وإنما أرادوا التفرقة في التسمية بين المشهور وغيره.

وهذا الذي ذكرته لك إجماع من علماء صنعة القراءات، فاعلمه...اهـ المراد.

وللمقرئ القيجاطي تفصيلا في القسم الأخير، فقد نقل العلامة الونشريسي عنه بعد ما تقدم (١٢/ ١٥٤-١٥٥) أنه قال: وما خرج عن المشهور أطلق عليه المتأخرون اسم الشذوذ، وهو عندهم قسمان،

قسم جار مجرى المشهور في وجوب القول والعمل به بإجماع من الأيمة كقراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع...اهـ المراد.

برفع الاسم الشريف على الفاعلية ونصب ﴿ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ على المفعولية. وهذا مروي عن جماعة من العلماء، منهم إمامنا أبو حنيفة...

قال المقرئ القيجاطي بعد ذكره لجماعة من القراء: لا خلاف بين الأيمة في قبول قراءة هؤلاء، إذا صحت بالأسانيد الصحيحة.

القسم الثاني اختلف المتأخرون في قبوله وصحة العمل به.

فذهب الحافظ أبو عمرو إلى عدم قبوله.

فمن هؤلاء محمد بن عبد الرحمن بن محيص المكي، ومحمد بن السبيع اليماني، وإبراهيم بن أبي عبلة، وأبو المرهسم، فهؤلاء كثيرون جدا، اختصرت أسماءهم. وهم أصحاب اختيارات، رد الحافظ اختياراتهم...اهـ المراد.

وعلى ما تقدم ففي القراءة الشاذة التفصيل التالي...

منها ما لم يصح سندها إما إلى قارئها، وإما بينه ومن فوقه، وهذه متروكة.

ومنها الجارية مجرى المشهور، وهذه اتفق الأئمة على قبولها إذا صح إسنادها.

ومنها ما لم يجر مجرى المشهور، وهذه اختلف في قبولها.

وتقدم رد الحافظ أبي عمرو لها، وفي توجيهه لذلك نقل الإمام أبو سعيد بن لب ما قال فيه: ذكر أبو عمرو الحافظ أن كثيرا ممن اشتهر في القراءات والإقراء، وحصلت له الرياسة، وكان من نظراء السبعة في الجلالة، تركه الناس؛ لأنه كان يشوب الرواية والآثار بالرأي والنظر، ويختار بالمعاني والعربية ما يختار، فاتهم الناس قراءته، وتركوه، توفيقا من الله لعباده؛ ليتحقق ضبطه لكتابه.اهـ بواسطة **"المعيار المعرب"** (١٢/ ١٢٨-١٢٩).

قوله: ﴿أبو حنيفة﴾ ذكر المؤلف هذه القراءة عن الإمام أبي حنيفة بصيغة التمريض مما ينبئ بعدم ثبوتها إليه. وأنكر عزو هذه القراءة إليه بعض المعاصرين المتعصبين

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كان الأستاذ الكمال بن الهمام في مجلس تدريسه، فأورد عليه سائل قراءة أبي حنيفة المذكورة، فأجاب بقول الشاعر:

أهابك إجلالا وما بك قدرة ... علي ولكن ملء عين حبيبها

وحينئذ فالمراد بالخشية الإجلال، فيكون المعنى على هذا إنما يجل الله من عباده العلماء.

لمذهبه في تحقيقه على **"سير أعلام النبلاء"** (٩/ ٥٤٤). ويؤيد ضعف هذه القراءة ما قاله الإمام أبو حيان في **"البحر المحيط"** (٩/ ٣١) بعد عزو هذه القراءة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز والإمام أبي حنيفة: ولعل ذلك لا يصح عنهما. وقد رأينا كتبا في الشواذ، ولم يذكروا هذه القراءة. وإنما ذكرها الزمخشري، وذكرها عن أبي حيوة -كذا في ما بين يدي، ويقتضي السياق كون الصواب «أبي حنيفة»- أبو القاسم يوسف بن جبارة في كتابه **"الكامل"**.اهـ.

وما تقدم مغن عن تكلف تخريج هذه القراءة الآتي في كلام المؤلف!

قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ﴾ قال العلامة الألباني كما في **"الروض الداني"** (ص ٣٨): والعرف عند العلماء جرى على تخصيص الترضي بالصحابة والترحم بمن بعدهم.اهـ.

وقد نبه على هذا التفريق الحافظ السخاوي في شرحه على **"التقريب"** (ص ٣٨٧)؛ إذ قال: «وإذا ذكر» المملي «صحابيا ترضى» المستملي تبعا للمملي -وكذا إن أغفله أيضا- «عنه...اهـ المراد.

ثم قال بعده بأسطر: وكذا يترحم على الأئمة ومن يقتدى بهم.اهـ.

قوله: ﴿حبيبها﴾ ذكر البيت العلامة ابن عقيل في شرحه على **"الألفية"** (١/ ٢٢٧). يعزى لمجنون ليلى. وأما العلامة المعلمي فعزاه في **"معجم الشواهد الشعرية"** (ص ٤٧) لنصيب، ومصدره المذكور **"المقاصد"** للعيني (١/ ٥٣٧).

[قدر كلام أهل العلم]

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ الآية [آل عمران: ١٨]، فقرنهم بالملائكة، ثم عطف شهادتهم على شهادته.

قوله: ﴿شهادتهم على شهادته﴾ قال الإمام ابن القيم كما في "تفسيره" (١/ ٢٢٤-٢٢٥): قد فسرت شهادة أولي العلم بالإقرار، وفسرت بالتبيين والإظهار.

والصحيح أنها تضمن الأمرين، فشهادتهم إقرار، وإظهار، وإعلام. وهم شهداء لله على الناس يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه، وهو توحيده، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه...

أحدها استشهادهم دون غيرهم من البشر.

والثاني اقتران شهادتهم بشهادته.

والثالث اقترانها بشهادة ملائكته.

والرابع أن في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم؛ فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.اهـ المراد.

تقديم كلام أهل العلم على من سواهم:

من فضل العلم تقديم قول أهله على غيره، ولهذا أمر سائر الناس بالرجوع إليهم، قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

وبعد سؤال أهل العلم أمرنا بطاعتهم، قال الله جل وعلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وهذه الآية، وإن كان قد ورد تفسير ﴿أُوْلِى ٱلْأَمْرِ﴾ فيها بالأمراء، إلا أنه ورد تفسيرهم بالعلماء كذلك، فيشمل حينئذ عموم لفظها الصنفين كليهما. بل أول من تشمل العلماء للآية السابق ذكرها الدالة على الأمر بالرجوع إلى العلماء لسائر الناس، ومنهم الأمراء، إذا لم يكونوا علماء. وقد قال العلامة أبو الوفاء بن عقيل في ما نقله عنه العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في **"الصواعق المرسلة"** (٤/ ١٣٤٣- ١٣٤٤): إنما أهل الدولة الإسلامية والشريعة المحمدية المحدثون والفقهاء. هؤلاء يروون أحاديث الشرع، وينفون الكذب عن النقل، ويحمون النقل عن الاختلاف والغلط، وهؤلاء ينفون عن الأخبار تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وهؤلاء هم الذين عدلهم النبي ﷺ بقوله: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله**».

فهم العدول على سائر الطوائف، فقبل قولهم على الناس، ولا يقبل قول الناس عليهم.

والخارج عن هؤلاء، وإن خفقت بنوده، وكثرت جموعه، وسعى حتى ضرب له الدرهم والدينار، وخطب باسمه على رءوس المنابر، لا تكون أموره إلا على

المغالطة والمجالسة؛ لأنه كالخارج على الملك الذي دانت له الرعايا، ونفذ حكمه في البلاد، فالخارج عليه لا يزال خائفا، مستوحشا، يخشى من أن يقابله الملك بقتال، أو يصافه بحرب؛ لأن في نفس الخارجي بقية من الحماس الباطل. والملك، وإن قلت جموعه فعنده صولة الحق وهيبة الملك.اهـ المراد.

وحديث: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله**» قال عنه الحافظ مغلطاي في "**إصلاح كتاب ابن الصلاح**" (ص ١٤٩-١٥٠): إن هذا الحديث روي مرفوعا من حديث أسامة بن زيد، وأبي هريرة، وابن مسعود، وغيرهم، وفي كلها ضعف، حتى أن جماعة، منهم الدارقطني، قال: لا يصح مرفوعا. إنما هو عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري عن النبي ﷺ مرسلا.اهـ.

بقي مما نختم به هذا الفصل التنبيه على كون المراد مما سبق إظهار فضل أهل العلم ببيان منزلة كلامهم وتقديمه على كلام غيرهم، فلا يفهم من ذلك عصمة العلماء في كلامهم، فيؤخذ به كله! بل قد يصدر منهم الخطأ كما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام البخاري (٧٣٥٢) والإمام مسلم (١٥)-(١٧١٦) من حديث **عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «**إذا حكم الحاكم، فاجتهد، ثم أصاب، فله أجران. وإذا حكم، فاجتهد، ثم أخطأ، فله أجر**».

ولهذا قال الإمام أحمد مما نقله عنه الإمام أبو داود في "**مسائله**" (ص ٢٧٦): ليس أحد إلا ويؤخذ من رأيه، ويترك، ما خلا النبي ﷺ.اهـ بواسطة "**صفة الصلاة**" (١/ ٢٧)، الحاشية (٢).

ومتى ظهر خطأ العالم في قول له رد قوله، ولا يجوز التمسك به على أنه لعالم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

[أتم الناس عقلا العلماء]

وميزهم من بين سائر الخلق، وفضلهم على جميع الناس، لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

قوله: ﴿﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾﴾ قال الإمام السعدي في "تفسيره" (ص ٦٦٩): وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم. فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين.اهـ المراد.

ولهذا قال الإمام ابن القيم كما في "تفسيره" (٢/ ٣٠١): وكان بعض السلف إذا مر بمثل لا يفهمه بكى، ويقول: لست من العالمين.اهـ المراد.

وفي توجيه فضل العلماء بعقل هذه الأمثال قال العلامة السعدي رحمه الله تعالى عقب ما تقدم: والسبب في ذلك أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها لاعتناء الله بها وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها.

وأما من لم يعقلها مع أهميتها فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم.اهـ المراد.

[العلم فضل الله يؤتيه من يريد به خيرا]

ومن على سيد البشر بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. قال تعالى تنويها بشأن العلماء:...

قوله: ﴿﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾﴾ فضل الله على نبيه ﷺ واسع، لكن أول ما تشمله الآية من ذلك العلم. وعلى هذا يدل سياقها، قال الإمام الطبري في "تفسيره" (٥/ ٢٧٥): وقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] يقول: ومن فضل الله عليك يا محمد! مع سائر ما تفضل به عليك من نعمه أنه أنزل عليك أيضا، الكتاب، وهو القرآن الذي فيه تبيان كل شيء، وهدى، وموعظة. و﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني وأنزل عليك مع الكتاب الحكمة، وهي بيان ما كان في الكتاب مجملا ذكره من حلاله، وحرامه، وأمره، ونهيه، وأحكامه، ووعده، ووعيده.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ﴾ من خبر الأولين، والآخرين، وما كان، وما هو كائن، فكل ذلك من فضل الله عليك.اهـ.

فالعلم فضل الله العظيم، وهو من رحمته الواسعة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ﴾ [القصص: ٨٦]، وهو نور الله الذي يهدي به من يشاء تفضلا منه تبارك وتعالى، قال الله جل وعلا: ﴿مَا

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ [الأنعام: ٩١]. وقال تعالى:...

كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

العلم علامة إرادة الله بطالبه خيرا في الدنيا والآخرة:

في هذا المعنى أخرج الإمام البخاري (٧١) والإمام مسلم (٩٨)-(١٠٣٧) من حديث **معاوية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**»... الحديث.

قال الحافظ في **"الفتح"** (١/ ٢١٧):... لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيها ولا طالب فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير. وفي ذلك بيان ظاهر لفضل العلماء على سائر الناس...اهـ المراد.

وإذا أراد الله بعبده خيرا ختم له بالحسنى، فقد أخرج الإمام أحمد (٢١٩٤٩) من حديث **عمرو بن الحمق الخزاعي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله**». قيل: وما «**استعمله**»؟ قال: «**يفتح له عمل صالح بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله**».

وقد حسن هذا الحديث الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

والحديث شامل لطالب العلم، وإن لم ينص عليه، بدليل الحديث السابق.

وكما كان العلم سببا لحسن الخاتمة فكذلك هو سبب لبعثة صاحبه على حال حسنة لما أخرجه الإمام مسلم (٨٣)-(٢٨٧٨) من حديث **جابر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**».

قوله: ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ ظاهر سياق المؤلف لهذه الآية كون المخاطبين في هذا القدر المذكور منها هذه الأمة؛ إذ التنويه المقدم ذكره ...

بشأن العلماء إنما هو لعلماء هذه الأمة. وأما علماء غيرها فلا تنويه بشأنهم! بل قد دلت الأدلة على عكس ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وأصرح منه قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ [الأعراف: ١٦٩]...

وعلى هذا فالفضل الذي تدل عليه هذه الآية هو من جنس ما تقدم، وذلك كون العلم فضل الله يؤتيه من يريد الله تبارك وتعالى به خيرا.

وأما على كون المخاطبين في القدر المذكور من الآية المشركين وأهل الكتاب فدلالة الآية على فضل العلم من الجهة التي قال فيها العلامة ابن القيم كما في "تفسيره" (١/ ٣٥٧): جعل سبحانه تعليمهم ما لم يعلموا هم ولا آباؤهم دليلا على صحة النبوة والرسالة؛ إذ لا ينال هذا العلم إلا من جهة الرسل، فكيف يقولون: «ما أنزل الله على بشر من شيء»!؟ وهذا من فضل العلم، وشرفه، وأنه دليل على صحة النبوة والرسالة، والله الموفق للرشاد.اهـ.

يشير الإمام ابن القيم إلى أول الآية؛ إذ قال الله جل وعلا: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۚ﴾ [الأنعام: ٩١].

وما تقدم من كلام الإمام ابن القيم، وإن كان مفيدا لدلالة الآية على فضل العلم من جهة، إلا أن الجهة التي تقدم الكلام عليها أنسب لسياق المصنف.

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، وقال تعالى في جواب الكفار...

قوله: ﴿﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾﴾ يجلي فضل العلم في هذه الآية إذا اعتبرت الآية التي تقدمت عليها، وذلك قول الله جل وعلا: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]. قال العلامة ابن القيم كما في "تفسيره" (٣/ ٣٤٢-٣٤٣): التعليم بالقلم الذي هو من أعظم نعمه على عباده؛ إذ به تخلد العلوم، وتثبت الحقوق، وتعلم الوصايا، وتحفظ الشهادات، ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس، وبه يقيد أخبار الماضين للباقين اللاحقين.

ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض، ودرست السنن، وتخبطت الأحكام، ولم يعرف الخلف مذاهب السلف، وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم ودنياهم إنما يعتريهم من النسيان الذي يمحو صور العلم من قلوبهم، فجعل لهم الكتاب وعاءا حافظا للعلم من الضياع كالأوعية التي تحفظ الأمتعة من الذهاب والبطلان. فنعمة الله عز وجل بتعليم القلم بعد القرآن من أجل النعم. والتعليم به، وإن كان مما يخلص إليه الإنسان بالفطنة والحيلة، فإن الذي بلغ به ذلك، وأوصله إليه، عطية وهبها الله منه، وفضل أعطاه الله إياه، وزيادة في خلقه وفضله، فهو الذي علمه الكتابة. وإن كان هو المتعلم ففعله فعل مطاوع لتعليم الذي علم بالقلم؛ فإنه علمه، فتعلم.اهـ المراد.

وكل هذا من إكرام الله على عبده كما يرشد إليه قوله سبحانه قبله: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]. قال الإمام ابن القيم بعد ما تقدم نقله: وذكر من صفاته ههنا اسم الأكرم الذي فيه كل خير وكل كمال، فله كل كمال وصفا، ومنه كل خير فعلا، فهو الأكرم في ذاته، وأوصافه، وأفعاله. وهذا الخلق والتعليم إنما نشأ من كرمه، وبره، وإحسانه، لا من حاجة دعته إلى ذلك، وهو الغني، الحميد.اهـ.

حين سألوا؛ «وما الرحمن؟»: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن].

ويشير العلامة ابن القيم بإكرام الله على عبده بالخلق إلى الآية المتقدمة؛ حيث قال الله سبحانه فيها: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢]. وهي الموافقة لقول الله تعالى الآتي: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن: ٣]، كما وافق قوله جل وعلا قبله: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [الرحمن: ٢] قول الله جل وعلا: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٥]، وكذلك وافق قوله جل وعلا: ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [العلق: ٤] قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤].

قوله: ﴿﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾﴾ في استظهار المناسبة بين هذه الآية وقوله جل وعلا: ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [العلق: ٤] ما قاله الإمام ابن القيم كما في "تفسيره" (٣/ ٩١): ثم قال: ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾، والبيان هنا يتناول مراتب ثلاثا، كل منها يسمى بيانا...

أحدها البيان الذهني، الذي يميز فيه بين المعلومات.

الثاني البيان اللفظي، الذي يعبر به عن تلك المعلومات، ويترجم عنها فيه لغيره.

الثالث البيان الرسمي، الخطي، الذي يرسم به تلك الألفاظ، فيتبين للناظر معانيها كما يتبين للسامع معاني الألفاظ.اهـ.

[رفعة أهل العلم الحسية والمعنوية]

وقال تعالى في حق العلماء: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، قال بعض المفسرين: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم.

قوله: ﴿﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾﴾ بداهة كان الجواب بالسلب؛ إذ الكل يقر للذين أوتوا العلم بارتفاع شأنهم على غيرهم.

والسبب في هذه الرفعة العلم كما تومئ إليه الآية. والجزاء من جنس العمل، فكما رفع الذين أوتوا العلم الحق والحجج رفعهم الله في الدنيا والآخرة. قال شيخ الإسلام في **"مجموعة الفتاوى"** (١٦/ ٤٨) في سياق كلامه على رفعة الذين أوتوا العلم: وأخبر أنهم هم الذين يرون ما أنزل إلى الرسول هو الحق بقوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦]. فدل على أن تعلم الحجة والقيام بها يرفع درجات من يرفعها كما قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٧٦]، قال زيد بن أسلم: بالعلم.اهـ.

قوله: ﴿بعض المفسرين﴾ الظاهر كون المراد الإمام الطبري، فله كلام في **"تفسيره"** (٢٨/ ١٩) في هذا المعنى، ونصه: ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان

قال بعض العلماء: رفعتهم تشمل المعنوية في الدنيا بحسن الصيت وعلو المنزلة، والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة.

على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به.اهـ.

قوله: ﴿بعض العلماء﴾ قال بهذا الكلام الحافظ ابن حجر في **"الفتح"** (١/ ١٨٦).

الرفعة بالعلم بحسب معاملة قلب صاحبه به:

قال شيخ الإسلام في **"مجموعة الفتاوى"** (١٦/ ٤٨-٤٩): فرفع الدرجات والأقدار على قدر معاملة القلوب بالعلم والإيمان.

فكم ممن يختم القرآن في اليوم مرة، أو مرتين، وآخر لا ينام الليل، وآخر لا يفطر، وغيرهم أقل عبادة منهم وأرفع قدرا في قلوب الأمة. فهذا كرز بن وبرة، وكهمس، وابن طارق، يختمون القرآن في الشهر تسعين مرة، وحال ابن المسيب، وابن سيرين، والحسن، وغيرهم، في القلوب أرفع.

وكذلك ترى كثيرا ممن لبس الصوف، ويهجر الشهوات، ويتقشف، وغيره ممن لا يدانيه في ذلك من أهل العلم والإيمان أعظم في القلوب وأحلى عند النفوس. وما ذاك إلا لقوة المعاملة الباطنة، وصفائها، وخلوصها من شهوات النفوس وأكدار البشرية، وطهارتها من القلوب التي تكدر معاملة أولئك. وإنما نالوا ذلك بقوة يقينهم بما جاء به الرسول، وكمال تصديقه في قلوبهم، ووده، ومحبته، وأن يكون الدين كله لله؛ فإن أرفع درجات القلوب فرحها التام بما جاء به الرسول ﷺ، وابتهاجها، وسرورها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ﴾ [الرعد: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨] الآية. ففضل الله ورحمته القرآن

وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وجه الدلالة أن الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم.

ومثل هذا كثير في كتاب الله...

وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله: أنا الذي خلقت الخلق والقلم، وعلمت الناس البيان.

والإيمان، من فرح به فقد فرح بأعظم مفروح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه، ووضع الفرح في غير موضعه.اهـ المراد.

قوله: ﴿﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾﴾ الظاهر من سياق المؤلف لهذه الآية إتماما للتين قبلها؛ فإن وظيفة العبد في هذه الدار عبادة ربه، بها أمر. ولا يتمكن من ذلك إلا بالعلم، فيعمل به، فيزيده من ربه قربا، وفي هذه الدار والآخرة رفعة ودرجات. فكلما ازداد ذلك لديه ازداد فضله وخيره، وكان سبب ذلك العلم. ولما كان الله بعبده رحيما ومريدا له الخير والمزيد منه أمره بطلب المزيد من السبب في خيره، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

قوله: ﴿هذا كثير في كتاب الله﴾ هذا دليل على أهمية العلم، وكفى به فضلا له.

قوله: ﴿الكتب المنزلة﴾ كما دل القرآن على فضل العلم دل عليه الكتب المتقدمة.

الأدب في رواية الإسرائيليات:

قال الحافظ ابن كثير في **"البداية والنهاية"** (٢/ ٣٥٨) أثناء كلامه على الإذن في رواية أخبار بني إسرائيل: إذا تقرر جواز الرواية عنهم فهو محمول على ما يمكن أن يكون صحيحا. فأما ما يعلم، أو يظن، بطلانه لمخالفته الحق الذي بأيدينا عن المعصوم فذاك متروك، مردود، لا يعرج عليه.اهـ المراد.

وما نقله المؤلف ههنا قد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على صحته.

[طلب العلم فريضة]

وأما ما جاءت به السنة فأكثر من أن يحاط به، فمن ذلك...

ما روي عن **أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم، وطالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر**».

قوله: ﴿**طلب العلم فريضة**﴾ وجه الاستدلال بالحديث الآتي على فضل العلم من كون أفضل ما يتقرب به إلى الله فرائضه. أخرج الإمام البخاري (٦٥٠٢) عن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه...**» الحديث.

قوله: ﴿**أنس بن مالك** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**طلب العلم...**»﴾ **ضعيف**.

أخرجه بنحو هذا التمام الحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (١٧).

وقد أخرجه قبل ذلك وبعده من أوجه، وصدر ذلك كله (١/ ٦٩) بقوله: هذا حديث يروى عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة، كلها معلولة، لا حجة في شيء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد.اهـ.

قوله: ﴿«**وطالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر**»﴾ وردت هذه الجملة ضمن ما أخرج الإمام أبو داود (٣٦٤١) من حديث **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

[الدعاء لطالب العلم]

وروى عطية العوفي، عن **أبي سعيد الخدري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من غدا ليطلب العلم...**

وفيه قول النبي ﷺ: «**وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض والحيتان في جوف الماء...**» الحديث.

وهو حديث حسن بمجموع طرقه. ويأتي ذكر المصنف لأوله، إن شاء الله.

على المرء طلب علم ما يتعبد به لربه:

وصدر الحديث السابق الذكر، وإن كان لا يثبت من جهة النقل، إلا أن معناه صحيح من الجهة التي قال فيها الإمام ابن القيم رحمه الله في **"مفتاح دار السعادة"** (ص ٤٤٢):... ثم شرائع الإسلام واجبة على كل مسلم، ولا يمكن أداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها. والله تعالى أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا، فطلب العلم فريضة على كل مسلم. وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلهم إلا بالعلم!؟ وهل ينال العلم إلا بطلبه!؟اهـ.

قوله: ﴿أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من غدا...»﴾

لا أصل له.

أخرجه الإمام العقيلي في ترجمة إسماعيل بن إسحاق في **"الضعفاء"** (١/ ٩١).

صلت عليه الملائكة، وبورك له في معيشته».

قال الإمام العقيلي بعد إخراجه: هذا حديث باطل، ليس له أصل.اهـ المراد.

نقل هذا الكلام مقرا له الإمام الذهبي في **"الميزان"** (١/ ٢٢١) وبعده الحافظ في **"اللسان"** (١/ ٥١١).

قوله: ﴿«**صلت عليه الملائكة...**»﴾ ذكر العلامة ابن فارس في مادة الصاد، واللام، والياء، من **"المقاييس"** دلالتها على أصلين، وأنسبهما لما نحن بصدده ما قال فيه: وأما الثاني فالصلاة، وهي الدعاء. وقال رسول الله ﷺ: «**إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب. فإن كان مفطرا فليأكل، وإن كان صائما فليصل**».

أي: فليدع لهم بالخير والبركة.اهـ المراد.

وحديث أبي سعيد، وإن كان باطلا، لكن يشهد لصحة معنى الفقرة المذكورة منه حديث **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السابق الذكر؛ فإن في ضمن سياقه قول رسول الله ﷺ: «**وإن طالب العلم ليستغفر له من في السماوات**».

وفي هذا الصدد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [غافر] الآية.

ومن ذلك أيضا، ما أخرجه الإمام البخاري (٦٥٩)، وهذا اللفظ له، والإمام مسلم (٢٧٢)-(٦٤٩) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث: اللهم! اغفر له، اللهم! ارحمه...**» الحديث.

ولا يخفى شمول هذه الأدلة لطالب العلم.

[حف الملائكة لطالب العلم]

وعن **أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة**».

وفي رواية: «**سهل الله له به طريقا إلى الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضاها بما يصنع**».

قال بعض العلماء: المراد بوضع الأجنحة التواضع على جهة التشريف.

وقيل: على الحقيقة، تضع أجنحتها لهم، فيمشون عليها، ولا يدركون ذلك للطافة أجسادهم.

قوله: {**التواضع**} نقل الحافظ ابن رجب كما في "**مجموع رسائله**" (٢/ ٣٠٠) هذا المعنى، واستضعفه عقبه قائلا: منهم من فسر وضع الملائكة أجنحتها بالتواضع لهم والخضوع لطلاب العلم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [**الشعراء: ٢١٥**].

وفي هذا نظر؛ لأن للملائكة أجنحة حقيقة بخلاف البشر.اهـ.

قوله: {**على الحقيقة**} هذا الوجه إجراء للحديث على ظاهره، وهو الأصل. وكان هو المختار لولا ما قال الحافظ ابن رجب عقب ما تقدم: منهم من فسر ذلك بأن الملائكة تحف بأجنحتها مجالس الذكر إلى السماء كما جاء ذلك صريحا في حديث

[العلم إرث عظيم الشأن]

وعنه ﷺ، أنه قال: «**العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر**».

أبي هريرة عن النبي ﷺ. وورد مثله في بعض الألفاظ حديث **صفوان بن عسال** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «**إن طالب العلم لتحفه الملائكة، وتظله بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا إلى سماء الدنيا، من حبهم لما يطلب**».

ولعل هذا القول أشبه، والله أعلم.اهـ.

قوله: {«**العلماء ورثة الأنبياء...**»} هو آخر حديث أبي الدرداء السابق الذكر.

كفى للعلم شرفا كونه إرث الأنبياء:

قال العلامة ابن رسلان رحمه الله تعالى في شرحه على "**سنن أبي داود**" (١٥/ ٦٨-٦٩): وحسبك بهذه الدرجة مجدا وفخرا وبهذه الرتبة شرفا وكرما، فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة لا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة. والعلماء ورثوا الأنبياء في سياسة إصلاح الخلق وإرشادهم إلى النجاة في الدنيا والآخرة.اهـ المراد.

وفي المعنى المذكور ما أخرجه الإمام مسلم (٤٤)-(١٨٤٢) من حديث **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه يحدث عن النبي ﷺ، أنه قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء. كلما هلك نبي خلفه نبي...**» الحديث.

[شفاعة العلماء]

وعن أبي إسحاق المزني يرفعه إلى النبي ﷺ، أنه قال: «**يقال للعابد يوم القيامة: «ادخل الجنة»، ويقال للعالم: «قف، فاشفع لمن شئت»**».

قال العلامة ابن رسلان عقب ما تقدم: فالسياسة على أربع مراتب،

الأولى، وهي العليا، سياسة الأنبياء وحلمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم.

والثانية الخلفاء والملوك، وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا. ولكن على ظاهرهم، لا على باطنهم.

والثالث العلماء بالله وبدين الله الذين هم ورثة الأنبياء، وحكمهم على باطن الخاصة. ولا تستطيع قوتهم على التصرف في ظواهرهم بالإلزام والمنع.

وأشرف هذه السياسات الأربع بعد النبوة إفادة العلم، وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة، المهلكة، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة والمسعدة. وهو المراد بالتعلم، فتعليم العلم من وجه عبادة لله، ومن وجه خلافة لله، وهو أجل الخلافة...اهـ المراد.

قوله: {«**يقال للعابد يوم القيامة: «ادخل الجنة»، ويقال للعالم: «قف...»**»}

ضعيف.

أفاد الشيخ ابن رسلان قبل ما تقدم رواية الإمام الأصبهاني له عن أبي أمامة.

أخرجه الإمام الأصبهاني في **"الترغيب والترهيب"** (٢١٥٧) من طريق ابن أبي عاصم، ثنا الحلواني، ثنا خازم بن خزيمة، عن عثمان بن عمر القرشي، عن مكحول، عن **أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجاء بالعالم والعابد، فيقال للعابد: «ادخل الجنة»، ويقال للعالم: «قف حتى تشفع للناس»**».

ترجم الإمام الذهبي في **"الميزان"** (١/ ٥٧٧) لاثنين اسمهما خازم بن خزيمة، فقال في الأول: «قال العقيلي: يخالف في حديثه»، وفي الآخر: «قال السليماني: فيه نظر». وأفاد الحافظ في **"اللسان"** (٢/ ٤٢٨) بما نقله عن ابن حنان كونهما واحدا.

هذا، ولم أعثر لعثمان بن عمر ولا لبعض من دون ابن أبي عاصم على ترجمة...

وفي الباب ما أخرجه الإمام ابن عدي في **"كامله"** (٥٦٦٣) من طريق حبيب ابن أبي حبيب، قال: ثنا شبل بن عباد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر نحوه.

قال الإمام ابن عدي بعد إخراج الحديث وغيره: هذه الأحاديث التي ذكرتها عن حبيب، عن شبل، عن مشايخ شبل، كلها موضوعة على شبل.اهـ المراد.

وقد أشار الإمام ابن عدي بإخراجه في ترجمة حبيب هذا إلى جعل العهدة في ذلك عليه، وقد قال الحافظ في **"التقريب"**: متروك، كذبه أبو داود وجماعة.اهـ.

وأخرجه الإمام ابن عدي بعد ذلك (١٦٦٨٦) من طريق مقاتل بن سليمان، ثني أبو الزبير وشرحبيل بن سعد، عن جابر به.

قال الحافظ في ترجمة مقاتل بن سليمان من **"التقريب"**: كذبوه.اهـ المراد.

وفي الباب عن أنس بنحوه، أخرجه الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٢٠).

قال الحافظ في ترجمة سمعان بن مهدي من **"لسان الميزان"** (٣/ ١٣٠):... لا يكاد يعرف. ألصقت به نسخة مكذوبة، رأيتها. قبح الله من وضعها. انتهى.

وهي من رواية محمد بن مقاتل الرازي، عن جعفر بن هارون الواسطي، عن سمعان... فذكر النسخة.اهـ المراد.

[خيرية أهل العلم]

وعنه ﷺ، أنه قال: «**العالم والمتعلم كهذه من هذه** -وجمع بين المسبحة والتي تليها- **شريكان في الأجر، ولا خير في سائر الناس بعد**».

وسند الحديث عند الخطيب من هذه الطريق عن سمعان بن مهدي عن أنس.

وفي الباب أيضا، حديث ابن عباس الذي أخرجه الخطيب عقب ما تقدم من طريق محمد بن مروان، عن ابن جريح، عن عطاء، عنه بنحوه.

ومحمد هذا هو السدي الأصغر، قال الحافظ في "**تقريبه**": متهم بالكذب.اهـ.

ولشدة ضعف الطرق المتقدمة لا يعتضد بعضها ببعض. ولكن يستغنى عنها في المعنى المذكور بما أخرجه الإمام البخاري (٧٤٣٩) والإمام مسلم (٣٠٢-(١٨٣) من حديث **أبي سعيد الخدري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي أثناء سياقه قول النبي ﷺ: «**فيقول الله** عز وجل **شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون...**» الحديث.

ووجه الدلالة بشفاعة العلماء على فضل العلم من جهة عدم وقوع الشفاعة عند الله إلا بعد إذنه، ولا ينال هذا الإذن إلا من رضي الله عنه، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

قوله: ﴿«**العالم والمتعلم كهذه من هذه** -وجمع بين المسبحة والتي تليها-...»﴾ **متروك**.

[العلم نجاة]

وعنه ﷺ، أنه قال: «**اغد عالما، أو متعلما، أو مستمعا، أو محبا لذلك...**

أخرجه الإمام ابن عدي في "**كامله**" (١٢٤٣٦): حدثنا الحسن بن سفيان، قال: ثنا صفوان بن صالح، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن **أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالعلم قبل أن يقبض. العالم والمتعلم كهذه من هذه** -وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى- **شريكان في الخير، ولا خير في سائر الناس**».

ذكرنا في "**إرشاد الفضلاء**" من أخرج الحديث، وما ذكرنا هنا أوفق ما وجدنا للفظ الذي ذكره المصنف. ومدار سنده على علي بن يزيد، وهو الألهاني المتروك.

وقد سردنا في المصدر المتقدم الذكر ما ورد في الباب مرفوعا، ولكنها في شدة الضعف نظير ما تقدم. وإنما صح ما أخرجه الإمام أحمد في "**الزهد**" (٧٣١) من قول أبي الدرداء: العالم والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في ما سواهما.اهـ.

قال الحاكم في "**معرفة العلوم**" (ص ٣١٣) في توجيه ذلك: قال أبو زكريا: فالعالم والمتعلم في الأجر سيان كما أن الداعي والمؤمّن في الدعاء شريكان.اهـ.

وقد دل على خيرية المتصف بالعلم قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ إذ العلم مقتض للعمل به، ومن العمل به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا تكن الخامس، فتهلك».

قوله: {«اغد عالما، أو متعلما، أو مستمعا، أو محبا لذلك. ولا تكن الخامس...»}

ضعيف.

أخرجه الإمام البزار كما في **"كشف الأستار"** (١٣٤)، والإمام الطبراني في **"الأوسط"** (٥١٧١)، والحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١٥١)، من طريق عبيد بن جناد، ثنا عطاء بن مسلم، عن خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه مرفوعا مثله.

قال الإمام البزار رحمه الله تعالى: لا نعلمه يروى من وجه من الوجوه إلا عن أبي بكرة. وعطاء ليس به بأس، ولم يتابع عليه.اهـ.

قال الإمام الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن خالد الحذاء إلا عطاء بن مسلم، تفرد به عبيد بن جناد.اهـ.

قال الحافظ الهيثمي في **"المجمع"** (١/ ١٢١): ورجاله موثقون.اهـ المراد.

وفي كلام الإمام البزار المتقدم الإشارة إلى جعل آفة هذا الإسناد على عطاء بن مسلم، وهو الخفاف. وقد قال الإمام ابن حبان رحمه الله في **"كتاب المجروحين"** (٢/ ١١٣): دفن كتبه، ثم جعل يحدث، وكان يأتي بالشيء على التوهم، فيخطئ. فكثر المناكير في أخباره، وبطل الاحتجاج به إلا في ما وافق الثقات.اهـ.

ومما يدل على عدم ضبطه للحديث روايته كما تقدم، وتارة أخرى عن مسعر، عن خالد به. أخرجه من هذا الوجه الإمام الطبراني في **"الصغير"** (٧٨٦).

النجاة للعالم، والمتعلم، والمستمع، والمحب لذلك:

الحديث المتقدم ضعيف، لكن يشهد لنجاة الأصناف الثلاثة الأولى ما أخرجه الإمام البخاري (٦٤٠٨) والإمام مسلم (٢٥)-(٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة، فضلا، يتبعون مجالس الذكر. فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا. فإذا تفرقوا عرجوا، وصعدوا إلى السماء**». قال: «**فيسألهم الله عز وجل، وهو أعلم بهم؛ من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك، ويكبرونك، ويهللونك، ويحمدونك، ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب! قال: فكيف لو رأوا جنتي!؟... قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك، يا رب! قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري!؟... قالوا: ويستغفرونك**». قال: «**فيقول: قد غفرت لهم، فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا**». قال: «**فيقولون: رب! فيهم فلان، عبد خطاء، إنما مر، فجلس معهم**». قال: «**فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**».

وأما نجاة المحب للعلم وأهله فيدل عليها ما أخرجه الإمام مسلم (١٦٥)-(٢٦٤٠) من حديث **عبد الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! كيف ترى في رجل أحب قوما، ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**».

وقال الحافظ ابن عبد البر عقب إخراج حديث أبي بكرة: الخامسة التي فيها الهلاك معاداة العلماء وبغضهم. ومن لم يحبهم فقد أبغضهم، أو قارب ذلك، وفيه الهلاك، والله أعلم.اهـ.

ويستطرد على ما تقدم الهلاك العظيم في معاداة أهل الحديث؛ إذ لا يكاد ينجو منه الواقع فيه! قال الإمام الصابوني رحمه الله تعالى في "**عقيدة السلف**" (ص ٣٠٩): علامات البدع على أهلها بادية، ظاهرة. وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم

[فضل العلماء على العباد]

وعن **أبي أيوب الأنصاري** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مسألة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد إسماعيل**».

لحملة أخبار النبي ﷺ، واحتقارهم لهم، واستخفافهم بهم، وتسميتهم إياهم حشوية، وجهلة، وظاهرية، ومشبهة...اهـ المراد.

ومن ذلك ما قاله الخطيب في **"شرف أصحاب الحديث"** (ص ٣٢):... فقد وقفنا على ما ذكرتم من عيب المبتدعة أهل السنة والآثار، وطعنهم على من شغل نفسه بسماع الأحاديث وحفظ الأخبار، وتكذيبهم بصحيح ما نقله إلى الأمة الأئمة الصادقون، واستهزائهم بأهل الحق في ما وضعه عليهم الملحدون، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].اهـ.

قوله: ﴿أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مسألة...»﴾ موضوع.

قال العلامة الألباني في **"الضعيفة"** (٧/ ٢٥١): أخرجه الرافعي في **"تاريخ قزوين"** (١/ ٢٥٥-٢٥٦) من طريق أبي بكر محمد بن الحسن النقاش، ثنا الحسن بن علي، ثنا يزيد بن هارون، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن ابن أبي ليلى، عن أبي أيوب الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ...اهـ المراد.

لطيفة تخصيص أولاد إسماعيل بالذكر دون غيرهم...

قيل: لكونهم أفضل أصناف الأمم؛ فإن العرب أفضل الأمم، ثم أفضلهم أولاد إسماعيل.

وقيل: لأن أولاد إسماعيل لم يجر عليهم رق قبل الإسلام.

وعن **أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا، أو يعلمه، كان له كأجر حاج تاما حجته**».

ثم قال رحمه الله تعالى: وهذا موضوع، ظاهر البطلان، كل رجال إسناده ثقات، رجال الصحيح، وضعه عليهم النقاش هذا؛ فإنه كذاب...اهـ المراد.

قوله: ﴿**أبي أمامة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **عن النبي** ﷺ، **أنه قال: «من غدا إلى المسجد لا...»**﴾ **حسن على أقل أحواله**.

أخرج الحديث الإمام الطبراني (٧٤٧٣) من طريق هشام بن عمار، ثنا محمد ابن شعيب، ثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة به.

قال الحافظ الهيثمي في "**المجمع**" (١/ ١٢٢): ورجاله موثقون كلهم.اهـ.

ومن هذه الطريق أخرجه الإمام الطبراني في "**مسند الشاميين**" (٤٢٣) أيضا.

هذا الإسناد حسن؛ فإن الرجال فيه ثقات ما عدا هشام بن عمار، قال الحافظ في "**التقريب**": صدوق، مقرئ. كبر، فصار يتلقن، فحديثه القديم أصح.اهـ.

وأما وصف الحافظ لخالد بن معدان بكثرة الإرسال فؤمن منه لاعتماد الإمام البخاري (٥٤٥٨) و(٥٤٥٩) روايته عن أبي أمامة.

وقد أخرجه الإمام ابن حبان في "**كتاب المجروحين**" (٢/ ٢٢٩-٢٣٠) من طريق ربيعة بن الحارث الجبلاني، قال: ثنا موسى بن أيوب، قال: ثنا كثير بن حمير الأصم، عن سالم أبي المهاجر، عن حبيب بن أبي مرزوق، عن خالد به مثله.

رواه مسلم.

وعنه ﷺ، أنه قال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**».

ولكن بعده زيادة قوله: «**ومن راح إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيرا، أو يعلمه، كان له مثل أجر حاج، أو معتمر، تام له حجه وعمرته**».

دل مضمون ترجمة ربيعة في "**تاريخ الإسلام**" (١١/ ٥٤٥) على جهالة حاله.

وكثير الأصم قد ذكره الإمام ابن حبان في "**الثقات**" في حين قال قبل إخراج حديثه هذا في "**كتاب المجروحين**": لا يجوز الاحتجاج بخبره إذا انفرد.اهـ!

وأخرجه تاما، لولا بعض القلب في لفظه، الحاكم (٣١٥): أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم القنطري ببغداد، ثنا أبو قلابة، ثنا أبو عاصم، عن ثور به.

وافق الإمام الذهبي الحاكم على قوله قبل إخراجه: على شرطهما جميعا.اهـ.

بل، هو ضعيف لنقل الخطيب في "**تاريخه**" (٢/ ١٠٨) تليين ابن أبي الفوارس للقنطري. وشيخه أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد الرقاشي، قد قال الحافظ في ترجمته من "**التقريب**": صدوق، يخطئ، تغير حفظه لما سكن بغداد.اهـ.

إن حفظت هاتان الطريقان قوتا الأولى، وإلا فقد تقدم بيان حسن إسنادها.

قوله: ﴿**رواه مسلم**﴾ تقدم ذكر مخرجي الحديث، وليس من بينهم الإمام مسلم.

وإنما أخرج في هذا الباب (٢٥١)-(٨٠٣) حديث **عقبة بن عامر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: خرج رسول الله ﷺ، ونحن في الصفة، فقال: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم؟**». فقلنا: يا رسول الله! نحب ذلك. قال: «**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد، فيعلم، أو يقرأ، آيتين من كتاب الله** عز وجل **خير له من ناقتين...**» الحديث.

قوله: ﴿«**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»﴾

الراجح إرساله.

قد أخرج هذا الحديث الإمام الترمذي (٢٦٨٥) من طريق سلمة بن رجاء، قال: ثنا الوليد بن جميل، قال: ثنا القاسم أبو عبد الرحمن، عن أبي أمامة الباهلي، قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان، أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ... فذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن، صحيح، غريب.اهـ.

خولف سلمة بن رجاء في إسناده، أخرجه الإمام الدارمي (٢٩٨) من طريق يزيد بن هارون، قال: ثنا الوليد بن جميل الكناني، قال: ثنا مكحول مرسلا مثله.

ولا مرية في أرجحية يزيد على سلمة، فتترجح في الحديث الرواية المرسلة.

على أنه يحتمل حمل العهدة في وصل الحديث على الوليد بن جميل، فلم يضبط روايته عن القاسم موصولا. وقد قال الحافظ الذهبي في ترجمته من **"الميزان"** (٥/ ٨٥): له عن القاسم أبي عبد الرحمن أحاديث منكرة، قاله أبو حاتم.اهـ.

وأخرجه الإمام الدارمي (٣٥١) من مراسيل الحسن البصري بمعناه.

ولشدة ضعف مراسيله لا يسوغ الاعتبار بها، وانظر **"الموقظة"** (ص ٤٤).

وأخرج الإمام ابن حبان في **"كتاب المجروحين"** (١/ ٤٢٧) من طريق سلام الطويل، عن زيد العمي، عن جعفر العبدي، عن أبي سعيد الخدري به نحوه.

قال الحافظ في ترجمة سلام الطويل من **"التقريب"**: متروك.اهـ.

وتابعه محمد بن الفضل بن عطية، وهو أسوأ، ففي **"التقريب"**: كذبوه.اهـ.

أخرج هذه المتابعة الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٩٢).

ونظيره في شدة الضعف حديث أنس في **"تاريخ بغداد"** (٨/ ٢٨٠-٢٨١).

وأخرجه من حديثه الحافظ ابن عبد البر عقب ما تقدم من وجه آخر بمعناه.

قال عقبه:... لأن أبا معمر عباد بن عبد الصمد انفرد به، وهو متروك...اهـ.

وفي **"الترمذي"** «**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**».

وأخرج نحوه الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ١٨) من حديث أبي الدرداء.

وفي الإسناد غير واحد ممن لم أعثر له على ترجمة!

قوله: ﴿«فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»﴾

ضعيف.

قد أخرج هذا الحديث الإمام الترمذي (٢٦٨١) من طريق الوليد بن مسلم، قال: ثنا روح بن جناح، عن مجاهد، عن ابن عباس مرفوعا به.

وقد أنكر هذا الحديث على روح بن جناح، قال الحافظ عقب ذكره في ترجمته من **"التهذيب"** (١/ ٦١٤): قال الساجي: هو حديث منكر.اهـ.

ورد في معناه حديث عمر، وبينا ضعفه في **"الإرشاد"**، فأغنى عن إعادته هنا.

وجه فضل العلماء على العباد:

قال الحافظ ابن رجب كما في **"مجموع رسائله"** (٢/ ٣١٨): ونحن إنما نقول: «إن العلماء بالله والعلماء بأمره أفضل من العباد، ولو كان العباد من العلماء بالله»؛ لأن [العلماء] الربانيين شاركوا العباد في فضيلة العلم بالله، بل ربما زادوا عليهم فيه، وانفردوا بفضيلة العلم بأمر الله وبفضيلة دعوة الخلق إلى الله وهدايتهم إليه، وهو مقام الرسل عليهم السلام. وكذلك كانوا خلفاء الرسل وورثتهم، كما سيأتي ذكره، إن شاء الله تعالى.

وهذا القدر الذي انفردوا به عن العباد أفضل من القدر الذي انفرد به العباد من نوافل العبادة؛ فإن زيادة المعرفة بما أنزل الله على رسوله توجب زيادة المعرفة بالله والإيمان به، وجنس المعرفة بالله والإيمان [به] أفضل من جنس العمل بالجوارح والأركان.

[تفضيل العلماء على الشهداء]

وعنه ﷺ، أنه قال: «**يشفع الله يوم القيامة ثلاثة، الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء**».

قال بعض الفضلاء: أكرم بمرتبة هي متوسطة بين النبوة والشهادة.

أقول: في العطف بـ«**ثم**» أدل دليل بعلى أفضلية العلماء على الشهداء...

ولكن من لا علم له تعظم في نفسه العبادات على العلم؛ لأنه لا يتصور حقيقة العلم ولا شرفه، ولا قدرة له على ذلك. وهو يتصور حقيقة العبادات، وله قدرة على جنسها في الجملة. ولهذا تجد كثيرا ممن لا علم لديه يفضل الزهد في الدنيا على العلوم والمعارف، وسببه ما ذكرناه.اهـ.

قوله: {«يشفع الله يوم القيامة ثلاثة، الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء»}

متروك.

أخرج الحديث الإمام ابن ماجه (٤٣١٣) وغيره من طريق عنبسة بن عبد الرحمن، عن علاق بن أبي مسلم، عن أبان بن عثمان، عن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله... فذكره.

في ترجمة عنبسة من "**التقريب**": متروك، رماه أبو حاتم بالوضع.اهـ.

ثم قال الحافظ في ترجمة علاق من المصدر المذكور: مجهول.اهـ.

قوله: {أكرم بمرتبة} هذه الصيغة الأخرى للتعجب.

كما لا يخفى على من عرف الحكم النحوي في «ثم». انتهى.

قوله: ﴿الحكم النحوي في «ثم»﴾ قال العلامة الشاطبي رحمه الله في **"المقاصد الشافية"** (٥/ ٨٧): والتزام الترتيب فيها، كما أشار إليه الناظم، هو مذهب الجمهور.اهـ.

والمراد بالترتيب هنا الترتيب في الواقع. وقد ترد للترتيب الذكري فحسب كما في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

لكن هذا خلاف الأصل، فافتقر إلى دليل. قال الإمام الشنقيطي في كلامه على الآية المتقدمة في **"الأضواء"**: أمر الله النبي ﷺ والمسلمين أن يفيضوا من حيث أفاض الناس، وهو عرفات، لا من المزدلفة كفعل قريش. وهذا هو مذهب جماهير العلماء، وحكى ابن جرير عليه الإجماع. وعليه فلفظة ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الذكري، بمعنى عطف جملة على جملة وترتيبها عليها في مطلق الذكر.اهـ المراد.

تفضيل العلماء على الشهداء بحسب الصديقية:

أدلى في المسألة كل بحجته، وكان الحديث المتقدم فاصلا للنزاع لو ثبت. وقد فصل القول في هذه المسألة الإمام ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (ص ٢٢٢-٢٢٣)؛ حيث قال: فأما مراتب الكمال فأربع، النبوة، والصديقية، والشهادة، والولاية، وقد ذكرها الله سبحانه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء].

وذكر تعالى هؤلاء الأربع في سورة الحديد، فذكر تعالى الإيمان به وبرسوله، ثم ندب المؤمنين إلى أن تخشع قلوبهم لكتابه ووحيه، ثم ذكر مراتب الخلائق، شقيهم وسعيدهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ ...

[الحث على التعلم]

وفي **"الفائق"**...

هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الحديد]، وذكر المنافقين قبل ذلك، فاستوعبت هذه الآية أقسام العباد، شقيهم وسعيدهم. والمقصود أنه ذكر فيها المراتب الأربعة، الرسالة، والصديقية، والشهادة، والولاية.

فأعلى هذه المراتب النبوة والرسالة. ويليها الصديقية، فالصديقون هم أئمة أتباع الرسل، ودرجتهم أعلى الدرجات بعد النبوة.

فإن جرى قلم العالم بالصديقية، وسال مداده بها، كان أفضل من دم الشهيد الذي لم يلحقه في رتبة الصديقية. وإن سال دم الشهيد بالصديقية، وقطر عليها، كان أفضل من مداد العالم الذي قصر عنها، فأفضلهما صديقهما. فإن استويا في الصديقية استويا في المرتبة، والله أعلم.

والصديقية هي كمال الإيمان بما جاء به الرسول علما، وتصديقا، وقياما به، فهي راجعة إلى نفس العلم.اهـ المراد.

قوله: ﴿**"الفائق"**﴾ قد خطر ببالي في أول الأمر كون المراد **"الفائق في غريب الحديث والأثر"** للزمخشري المعتزلي. ولكن لم أعثر فيه على واحد من هذه الأحاديث التي ذكرها المصنف ههنا، فالله أعلم بالمراد.

عنه ﷺ: «**تعلموا العلم، وعلموه الناس**».

وفيه أيضا، «**تعلموا العلم، واعملوا به**».

قوله: {«تعلموا العلم، وعلموه الناس»}

ضعيف.

أخرجه الإمام الدارمي (٢٢٩) من طريق عوف، عن رجل يقال له: «سليمان ابن جابر» من أهل هجر، قال: قال ابن مسعود: قال لي رسول الله... فذكره.

ولا يثبت هذا الإسناد لجهالة عين سليمان بن جابر.

على اختلاف في سنده ذكره الإمام الدارقطني في "**العلل**" (٣/ ٢٦٣-٢٦٥)، وختمه بترجيح الرواية بزيادة رجل مبهم في السند بين عوف وبين سليمان هذا.

وقد وردت للحديث شواهد عديدة، ولكن لا يصلح الاعتبار بشيء منها.

قوله: {«تعلموا العلم، واعملوا به»}

ضعيف جدا.

أخرجه الخطيب في "**اقتضاء العلم العمل**" (٦): أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الطرقي، العدل، بالكرج، ثنا أبو بكر عمر بن إبراهيم بن مردويه الكرجي، ثنا أبان بن جعفر بن أبي جعفر [النجير]، ثنا أحمد بن سعيد الثقفي، المطوعي، ثنا سفيان بن عيينة، قال: أنا إبراهيم بن [ميسرة، عن أنس]، قال: قال رسول الله... فذكره.

قال الحافظ رحمه الله في ترجمة أبان هذا من "**اللسان**" (١/ ١١٤) بعد نقل حكاية الإمام ابن حبان في وصف الرجل بالوضع: كذا سماه ابن حبان، وصحفه! وإنما هو أبا -كذا في ما بين يدي، وصوابه الذي يدل عليه تتمة كلام الحافظ «أباء»- بهمزة، لا بنون. وستأتي هذه الحكاية بعينها في الأصل.اهـ.

وفيه «**تعلموا العلم قبل أن يرفع**».

وفيه «**تعلموا العلم، وكونوا من أهله**».

وفيه «**إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة كما يحتاجون إليهم**...

والمراد بالأصل "**الميزان**". قال فيه الإمام الذهبي (١/ ٥٨) عقب ذكر الحكاية المشار لها: قال السهمي: سمعت الحسن بن علي بن عمرو القطان يقول: أباء بن جعفر النجارمي أبو سعيد كذاب على رسول الله ﷺ. حدث بنسخة كتبناها عنه، نحو مائة حديث، عن شيخ له مجهول، أحمد بن سعيد الثقفي، المطوعي، عن سفيان بن عيينة...اهـ المراد.

وذكر الإمام الألباني للحديث طرقا أخرى في "**الضعيفة**" (٧/ ٤١٦-٤١٧)، وصدر ذلك بحكمه على الحديث بقوله: ضعيف جدا.اهـ.

قوله: ﴿«تعلموا العلم قبل أن يرفع»﴾

ضعيف.

علقه الإمام البخاري في "**تاريخه**" (٨/ ١٠٧-١٠٨) قائلا: ناجية بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود، عن أبيه، عن ابن مسعود، عن النبي... فذكره.

وقع في الطبعة بلفظ «**القرآن**»، وأفاد المحقق بوروده في نسخة بلفظ «**العلم**».

وناجية لم يذكر فيه الإمام البخاري جرحا، ولا تعديلا، ولا من الرواة عنه إلا واحدا، فيكون مجهول عين.

له شاهد أخرجه الإمام الطبراني (٧٩٠٦) من طريق الحجاج، عن الوليد بن أبي مالك، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة مرفوعا بمعناه.

والحجاج هو ابن أرطاة، وهو ضعيف، ثم هو ممن تضر عنعنته من المدلسين.

قوله: ﴿«تعلموا العلم، وكونوا من أهله»﴾

في الدنيا».

قوله: ﴿«إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا»﴾ موضوع.

قال الإمام الذهبي في ترجمة مجاشع بن عمرو من **"الميزان"** (٤/ ١٧): موسى ابن الأسود ومخلد أبو محمد الحراني، قالا: ثنا مجاشع بن عمرو، عن محمد بن الزبرقان، عن مقاتل، عن أبي الزبير، عن جابر مرفوعا...اهـ المراد.

فذكر الحديث، وقال عقبه: وهذا موضوع.اهـ.

ومخلد الحراني هو ابن مالك، وقد أخرج الخبر الحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (٥١/ ٥٠) من طريقه، عن مخلد بن يزيد، عن مجاشع بن عمرو به.

الرفعة تنال بالبدار إلى التعلم:

قال العلامة أبو هلال العسكري رحمه الله في **"الحث على طلب العلم"** (١-٤): والاجتهاد في ما يكسب العز، ويزيد في النباهة والقدر، راحة العاقل، والتواني عنه عادة الجاهل. وقلت في نحو ذلك:

وساهر الليل في الحاجات نائمه ... وواهب المال عند المحل كاسبه

وقلت في نحو ذلك:

وليغد في تعب يرح في راحة ... إن الأمور مريحها كالمتعب

وقلت:

ألا لا يذم الدهر من كان عاجزا ... ولا يعذل الأقدار من كان وانيا

فمن لم تبلغه المعالي نفسه ... فغير جدير أن ينال المعاليا.اهـ.

وفي المعنى قال الشيخ بكر في **"الحلية"** (ص ٣٥): من سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة، مركز السالف والموجب في شخصك، الرقيب على جوارحك.

لطيفة من الاحتياج إلى العلماء في الجنة أنه إذا دخل أهل الجنة إليها يعطيهم الله جميع ما يتمنونه، ولا يزالون يتمنون بإذن ربهم حتى تعجز عقولهم وتدبيراتهم عن الأماني؛ لأنهم نالوا كل ما أرادوا من النعيم. فيقول الله سبحانه بعد ذلك كله: «تمنوا». فلا يعرفون ما يتمنون، فيرجعون إلى العلماء، فيسألونهم ما يتمنون، فيستنبطون لهم أشياء من أسرار الله تبارك وتعالى، فيتمنونها.

كذا في **"حاوي القلوب إلى لقاء المحبوب"** لابن الميلق الشافعي رحمه الله.

والأحاديث في ذلك كثيرة جدا، وهذا بعض من كل.

كبر الهمة يجلب لك بإذن الله خيرا غير مجذوذ؛ لترقى إلى درجات الكمال، فيجري في عروقك دم الشهامة، والركض في ميدان العلم والعمل. فلا يراك الناس واقفا إلا على أبواب الفضائل، ولا باسطا يديك إلا لمهمات الأمور.

والتحلي بها يسلب منك سفاسف الآمال والأعمال، ويجتث منك شجرة الذل، والهوان، والتملق، والمداهنة. فكبير الهمة ثابت الجأش، لا ترهبه المواقف، وفاقدها جبان، رعديد، تغلق فمه الفهاهة.اهـ المراد.

قال الشيخ العثيمين في شرحه للفقرة الأخيرة (ص ١٢٣): والآمال هو أن يتمنى الإنسان الشيء دون السعي في أسبابه؛ فإن المؤمن كيس، فطن، لا تلهيه الآمال. بل ينظر إلى الأعمال، ويترقب النتائج.

وأما من تلهيه الآمال، ويقول: «إن شاء الله أقرأ هذا، أراجع هذا... الآن سأستريح، وبعد ذلك أراجع»، أو تلهيه الآمال في ما يحدث للإنسان، أحيانا يتصفح الكتاب من أجل مراجعة مسألة من المسائل، ثم ينظر في الفهرس والصفحات، تلهيه عن المقصود الذي من أجله فتح الكتاب...اهـ المراد.

[السعي في طلب العلم دليل العقل]

وقال بعض الفضلاء: العلم أمان من كيد الشيطان،...

قوله: ﴿العلم أمان من كيد الشيطان﴾ عداوة الشيطان للإنسان أمر معروف، مقرر لدى كل عاقل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ [فاطر: ٦].

ولما كان الأمر كذلك اقتضت رحمة الله بعباده جعل ذكر الله السبب للانتصار على شر هذا العدو الرجيم كما جعل ذلك سببا للانتصار على العدو الإنسي، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وطالب العلم بسعيه فيه ذاكر لله، وكلما استمر في ذلك أمن من كيد الشيطان.

ومتى ضعف سعيه في الطلب وجد الشيطان عليه مداخل، فأصاب مقاتله.

وأما إن أعرض عن طلب العلم، وانسلخ منه، فحاله كما قاله الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ [الأعراف: ١٧٥]. قال العلامة ابن القيم في "المدارج" (٣/ ٣٣٤): ومن فارق الدليل ضل عن سواء السبيل. ولا دليل إلى الله والجنة سوى الكتاب والسنة. وكل طريق لم يصحبه دليل القرآن والسنة فهي من طرق الجحيم والشيطان الرجيم.اهـ.

وحرز من كيد الحسود، ودليل العقل.

ولقد أحسن من قال:

ما أحسن العقل والمحمود من عقلا ... وأقبح الجهل والمذموم من جهلا

فليس يصلح نطق المرء في جدل ... والجهل يفسده يوما إذا سئلا

والعلم أشرف شيء ناله رجل ... من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا

قوله: ﴿وحرز من كيد الحسود﴾ كما كان سعي الطالب أمانا من كيد الشيطان كان حرزا من كيد الحسود أيضا؛ إذ كلما جد سعيه ابتعد عن حاسده. ولا دواء أنفع لاتقاء شر الحاسد منه، قال الإمام ابن حبان في **"روضة العقلاء"** (ص ١٨٦): لا يوجد من الحسود أمان أحرز من البعد منه؛ لأنه ما دام مشرفا على ما خصصت به دونه لم يزده ذلك إلا وحشة، وسوء ظن بالله، ونماءا للحسد فيه.اهـ.

قوله: ﴿ودليل العقل﴾ قال الإمام ابن حبان رحمه الله في **"روضة العقلاء"** (ص ٥٦): الواجب على العاقل إذا فرغ من إصلاح سريرته أن يثني بطلب العلم والمداومة عليه؛ إذ لا وصول للمرء إلى صفاء شيء من أسباب الدنيا إلا بصفاء العلم فيه.

وحكم العاقل أن لا يقصر في سلوك حالة توجب له بسط الملائكة أجنحتها رضا بصنيعه ذلك.اهـ.

ثم قال رحمه الله تعالى (ص ٦٤): الواجب على العاقل ألا يطلب من العلم إلا أفضله؛ لأن الازدياد من العلم آثر عند العاقل من الذكر بالعلم. والعلم زين في الرخاء ومنجاة في الشدة، ومن تعلم ازداد كما أن من حلم ساد.اهـ.

قوله: ﴿من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا﴾ قال الخطيب رحمه الله في **"شرف أصحاب الحديث"** (١٤٧): أنشدني الحسن بن علي بن محمد البلخي بأصبهان، قال: أنشدني أبو الفضل العباس بن محمد الخراساني:

تعلم العلم واعمل يا أخي به فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

وعن بعض الحكماء، أنه قال: العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قائده، والرفق والده، والبر أخوه، والصبر أمير جنوده.

رحلت أطلب أصل العلم مجتهدا وزينة المرء في الدنيا الأحاديث

لا يطلب العلم إلا بازل ذكر وليس يبغضه إلا المخانيث

.اهـ المراد.

قوله: ﴿فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا﴾ قال الإمام ابن حبان في **"روضة العقلاء"** (ص ٥٨): العاقل لا يشتغل في طلب العلم إلا وقصده العمل به؛ لأن من سعى فيه لغير ما وصفنا ازداد فخرا، وتجبرا، وللعمل تركا وتضييعا، فيكون فساده في المتأسين به فيه أكثر من فساده في نفسه، ويكون مثله كما قال الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].اهـ.

قوله: ﴿وعن بعض الحكماء، أنه قال...﴾ القائل هو الإمام وهب بن منبه، أخرج قوله المذكور الحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (٦٣/ ٣٨٨).

وإسناده ضعيف لضعف أبي العز أحمد بن عبيد الله، شيخ الحافظ ابن عساكر. على أنني لم أعثر لبعض الرجال في الإسناد على ترجمة، فالله أعلم بحالهم.

[تفضيل العلم على نوافل العبادات]

وقال بعض الحكماء: لمثقال ذرة من العلم أفضل من جهاد الجاهل ألف عام.

وقال الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأعاد علينا من بركاته: الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة.

قوله: ﴿وأعاد علينا من بركاته﴾ هذا محمول من المصنف على المزيد من الاستفادة من علم الإمام الشافعي؛ إذ البركة ثبوت الخير في الشيء، ومن خير العبد علمه. وفي هذا الصدد ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في **"مفتاح دار السعادة"** (ص ٤٩٩-٥٠٠): قوله سبحانه عن المسيح أنه قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم]، قال سفيان بن عيينة: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾، قال: معلما للخير.

وهذا يدل على أن تعليم الرجل الخير هو البركة التي جعلها الله فيه؛ فإن البركة حصول الخير، ونماؤه، ودوامه. وهذا في الحقيقة ليس إلا في العلم الموروث عن الأنبياء وتعليمه.اهـ.

قوله: ﴿الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة﴾ قد أخرج كلام الإمام الشافعي بمعناه الخطيب رحمه الله في **"شرف أصحاب الحديث"** (٢٤١) بالإسناد الصحيح إليه.

وقال: ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم.

قوله: ﴿ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم﴾ لم أجد اللفظ المذكور من كلام الإمام الشافعي...

ويشهد لصحة معنى الكلام المذكور ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله في **"مفتاح دار السعادة"** (ص ٣٣٦): وهذا الكلام هو فصل الخطاب في هذه المسألة...

فانه إذا كان كل من العلم والعمل فرضا فلابد منهما كالصوم والصلاة.

فإذا كانا فضلين، وهما النفلان المتطوع بهما، ففضل العلم ونفله خير من فضل العبادة ونفلها؛ لأن العلم يعم نفعه صاحبه والناس معه، والعبادة يختص نفعها بصاحبها، ولأن العلم تبقى فائدته وثمرته بعد موته، والعبادة تنقطع عنه.اهـ المراد.

قال الخطيب في **"شرف أصحاب الحديث"** (ص ١٢٦) طلب الحديث في هذا الزمان أفضل من سائر أنواع التطوع لأجل دروس السنن، وخمولها، وظهور البدع، واستعلاء أهلها.اهـ.

توفي الخطيب البغدادي سنة ثلاث وستين وأربعمائة، يعني قبل يومنا هذا بما يقدر بألف سنة إلا تسعة عشر عاما! فإذا كان حال الباطل وأهله ما شهد به الخطيب في زمانه فماذا يقال في حال ذلك في هذا الزمان...!؟

ولاسيما مع اعتبار ما أخرجه الإمام البخاري (٧٠٦٨) من حديث **أنس بن مالك** رضي الله عنه، أنه قال: «**اصبروا؛ فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم**»، سمعته من نبيكم ﷺ.

[العلم نور في ظلمة الجهل وحياة للقلب]

وقال بعض العلماء: العلم نور يهتدي به الحائر.

قوله: ﴿العلم نور يهتدي به الحائر﴾ قال الله جل وعلا: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى كما في **"تفسيره"** (١/ ٣٦٨): وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يتضمن أمورا...

أحدها أنه يمشي في الناس بالنور، وهم في الظلمة، فمثله ومثلهم كمثل قوم أظلم عليهم الليل، فضلوا، ولم يهتدوا للطريق، وآخر معه نور يمشي به في الطريق، ويراها، ويرى ما يحذره فيها.

وثانيها أنه يمشي فيهم بنوره، فهم يقتبسون منه لحاجتهم إلى النور.

وثالثها أنه يمشي بنوره يوم القيامة على الصراط إذا بقي أهل الشرك والنفاق في ظلمات شركهم ونفاقهم.اهـ.

إذهاب نور العلم ظلمة الجهل الحندس:

قال الإمام ابن القيم في **"مدارج السالكين"** (٣/ ٦٩٩): والجهل نوعان،

جهل علم ومعرفة، وهو مراد الشيخ ههنا.

وجهل عمل وغي.

وفي معناه أنشدوا:

بالعلم تحيا نفوس قط ما عرفت ... من قبل ما الفرق بين الصدق والمين

العلم للنفس نور تستدل به ... على الحقائق مثل النور للعين

وكلاهما له ظلمة ووحشة في القلب.

وكما أن العلم يوجب نورا وأنسا فضده يوجب ظلمة، ويوقع وحشة. وقد سمى الله سبحانه وتعالى العلم الذي بعث به رسوله نورا، وهدى، وحياة، وسمى ضده ظلمة، وموتا، وضلالا، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة]...اهـ المراد.

قوله: ﴿العلم للنفس نور تستدل به﴾ قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى عقب ما تقدم نقله: وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، فجعله روحا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح ونورا لما يحصل به من الهدى والرشاد.اهـ.

وقال آخر:

كفى شرفا بالعلم دعواه جاهل ... ويفرح إن أمسى إلى العلم ينسب
ويكفي خمولا بالجهالة أنني ... أراع متى أنسب إليها وأغضب

وقال ابن الزبير: إن أبا بكر كتب إلي، وأنا بالعراق: يا بني! عليك بالعلم؛ فإنك إذا افتقرت إليه كان مالا،...

قوله: ﴿كفى شرفا بالعلم دعواه جاهل﴾ في معنى هذه الأبيات ما أخرجه الحافظ أبو نعيم رحمه الله في **"الحلية"** (٩/ ١٤٦): حدثنا الحسن بن سعيد، ثنا محمد بن زغبة، سمعت يونس بن عبد الأعلى، يقول: سمعت الشافعي يقول: كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه، ويفرح إذا نسب إليه. وكفى بالجهل شيئا -كذا في ما لدي، ولعل صوابه «شينا»- أن يتبرأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه.

لكن هذا السند ضعيف لضعف الحسن بن سعيد، وهو ابن جعفر العباداني. وأما شيخه فالظاهر كون المراد به محمد بن حماد زغبة، فقد ترجم له الحافظ ابن يونس في **"تاريخه"**، فذكر من شيوخه الربيع بن سليمان، وهو من طبقة يونس بن عبد الأعلى. ويفيد مجموع ما ذكره الحافظ ابن يونس في ترجمته جهالة عينه.

قوله: ﴿وقال ابن الزبير: إن أبا بكر كتب إلي، وأنا بالعراق: يا بني! عليك بالعلم؛ فإنك...﴾ أخرجه الحافظ ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (٣١٧) من طريق أحمد بن زهير، قال: أني مصعب بن عبد الله، قال: قال لنا أبي... فذكر نحوه.

وهذا الإسناد حسن من أجل مصعب هذا، وهو ابن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، فيكون المصنف قد نسبه إلى جده الأعلى. وهو معروف بهذه النسبة، فقد قال الحافظ في ترجمته من **"التقريب"**: أبو عبد الله الزبيري، المدني، نزيل بغداد، صدوق.اهـ المراد.

وإن استغنيت به كان جمالا.

وأنشد في معناه:

العلم بلغ قوما ذروة الشرف وصاحب العلم محفوظ من التلف

قوله: ﴿كان جمالا﴾ هذا يصب مصب ما تقدم؛ إذ المتصف بالعلم على حقيقته ظهر نور علمه عليه، وأكسبه جمالا في الفعل، والقيل، والحال.

وفي هذا الصدد ما أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله (٣٦٦٠) من حديث **زيد بن ثابت** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضر الله امرءا سمع منا حديثا، فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**».

وهذا الحديث قد صححه الشيخ مقبل في **"الجامع الصحيح"**.

جزاء النور النور:

لما كان الجزاء من جنس العمل كان الجزاء للساعي في اقتباس نور العلم أن يلبس جمال النور في سائر شئونه. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى كما في **"تفسيره"** (٢/ ٤٣٤-٤٣٥): وقد اختلف في الضمير في قوله عز وجل: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ [الشورى: ٥٢]،

فقيل: يعود على الكتاب.

وقيل: على الإيمان.

والصحيح أنه يعود على الروح في قوله: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

فأخبر تعالى أنه جعل أمره روحا، ونورا، وهدى. ولهذا ترى صاحب اتباع الأمر والسنة قد كسي من الروح، والنور، وما يتبعهما من الحلاوة، والمهابة، والجلالة، والقبول، ما قد حرمه غيره.اهـ المراد.

يا صاحب العلم مهلا لا تدنسه بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال بعض الفضلاء: ينبغي لكل عاقل أن يبالغ في تعظيم العلماء ما أمكن، ولا يعد غيرهم من الأحياء.

قوله: ﴿صاحب العلم مهلا لا تدنسه﴾ نقل شيخنا أبو حاتم في **"المنهجية"** (ص ١٦٣) عن الإمام الفيروزآبادي أنه قال في **"بصائر ذوي التمييز"** (١/ ٥٤): اعلم أن للعلم عرفا ينم على صاحبه، ونورا يرشد إليه، وضياءا يشرق عليه، فحامل المسك لا تخفى روائحه. معظم عند النفوس الخيرة، محبب إلى العقلاء، وجيه عند ذوي الوجوه، تتلقى القلوب أقواله وأفعاله بالقبول. ومن لم يظهر عليه أمارات علمه فهو ذو بطانة، لا صاحب إخلاص.اهـ.

قوله: ﴿ولا يعد غيرهم من الأحياء﴾ قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في **"مدارج السالكين"** (٤/ ١٢٦-١٢٧) في سياق كلامه على قول الله جل وعلا: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]: فإن المراد بها من كان ميت القلب بعدم روح العلم، والهدى، والإيمان، فأحياه الرب تعالى بروح أخرى غير الروح التي أحيا بها بدنه. وهي روح معرفته، وتوحيده، ومحبته، وعبادته وحده، لا شريك له؛ إذ لا حياة للروح إلا بذلك، وإلا فهي في جملة الأموات. ولهذا وصف الله تعالى من عدم ذلك بالموت، فقال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [النمل: ٨٠].

وسمى وحيه روحا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى:

وقد أجاد من قال:

ومن الـجهـالة أن تعظم جهـلا ... لـصقـال ملبسـه ورونـق نـقـشـه
واعلم بأن التبـر في بطن الثرى ... خاف إلـى أن يستبيـن بنبشـه
وفضيلة الدينار يظهر سرها ... من حكه لا من ملاحة نقشـه

٥٢]، فأخبر أنه روح تحصل به الحياة وأنه نور تحصل به الإضاءة. وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]، وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥]، فالوحي حياة الروح كما أن الروح حياة البدن. ولهذا من فقد هذه الروح فقد فقد الحياة النافعة في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فحياته حياة البهائم، وله المعيشة الضنك. وأما في الآخرة فله جهنم، لا يموت فيها، ولا يحيا.اهـ المراد.

قوله: ﴿لصقال ملبسه ورونق نقشه﴾ قال الإمام الماوردي رحمه الله تعالى في **"أدب الدنيا والدين"**: فلما عدم الجاهلون العلم الذي به يتوصلون إلى فضل العلم جهلوا فضله، واسترذلوا أهله، وتوهموا أن ما تميل إليه نفوسهم من الأموال المقتناة والطرف المشتهاة أولى أن يكون إقبالهم عليها وأحرى أن يكون اشتغالهم بها.اهـ بواسطة **"نضرة النعيم"** (٩/ ٤٣٨٧).

[ذم الجهل]

وقال أبو طالب المكي في **"قوت القلوب"**: جاء في الخبر أن الله تعالى لا يعذر على الجهل. ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله،...

قوله: ﴿ذم الجهل﴾ مقصود المصنف بذكره ما يلي المزيد من التقرير لفضل العلم؛ إذ يتضح الشيء بضده.

قوله: ﴿وقال أبو طالب المكي في "قوت القلوب"﴾ قال الحافظ في ترجمة الرجل من **"اللسان"** (٥/ ٢٩٨): وكان على مذهب أبي الحسن بن سالم، وذكره النديم في مصنفي المعتزلة.اهـ.

ومن مذهب ابن سالم هذا ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في **"مجموعة الفتاوى"** (٢/ ٢٩٩)؛ إذ قال: القول الرابع قول من يقول: «إن الله بذاته فوق العالم، وهو بذاته في كل مكان». وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف كأبي معاذ وأمثاله. وقد ذكر الأشعري في **"المقالات"** هذا عن طوائف، ويوجد في كلام السالمية كأبي طالب المكي...اهـ المراد.

أما كتابه فقد قال الخطيب في **"تاريخه"** (٤/ ١٥١): صنف كتابا سماه **"قوت القلوب"** على لسان الصوفية، ذكر فيه أشياء منكرة، مستشنعة، في الصفات.اهـ.

قوله: ﴿جاء في الخبر أن الله تعالى لا يعذر على الجهل﴾ كأنه يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٧٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في **"تفسيره"** (٣/ ٧٨٤): أي: هو رحمة على المؤمنين وحجة على الكافرين.اهـ.

إقامة الحجة:

قال الإمام ابن القيم في **"المدارج"** (١/ ٣٩٩): فإن حجة الله قامت على العبد بإرسال الرسول، وإنزال الكتاب، وبلوغ ذلك إليه، وتمكنه من العلم به سواء علم، أو جهل.

فكل من تمكن من معرفة ما أمر الله به، ونهى عنه، فقصر عنه، ولم يعرفه، فقد قامت عليه الحجة. والله سبحانه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه، فإذا عاقبه على ذنبه عاقبه بحجته على ظلمه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الملك].اهـ.

لشيخ الإسلام رحمه الله في ما يتعلق بالمسلمين كلام في غاية من التحفظ في **"الرد على البكري"** (٢/ ٦٢٩-٦٣٠)، قال فيه:... نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأموات، لا الأنبياء، ولا الصالحين، ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت، ونحو ذلك. بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله. لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه.اهـ، واستفيد الوصول لهذا الموضع من شرح الشيخ محمد أمان الجامي لـ**"القواعد الأربع"** (ص ١٠٥)، الحاشية (١).

ولا يحل للعالم أن يسكت عن علمه، وقد قال سبحانه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

وهذا يلتقي مع ما تقدم في كلام الإمام ابن القيم من توقف إقامة الحجة على التمكن من العلم. وتقرير ذلك حيث إن العبد إن سأل إنما يسأل من اتفق له ممن تصدى للفتيا، سواء كان أهلا لذلك، أم لا.

فإذا لم يكن المفتي من أهل العلم -وقد تقدم في كلام شيخ الإسلام مشاهدته لغلبة الجهل في زمانه!- أفتاه بجهل، ويظن السائل أنه قد ملأ يديه بالخير، وليس كذلك. ولذلك كان حكم مثل هذا السائل حكم من لم يتمكن من العلم!

والشاهد مما تقدم التحفظ في من الأصل فيه الإسلام من إطلاق القول بإقامة الحجة عليه وعدم عذره بالجهل خلافا للإطلاق الذي نقله المصنف!

قوله: ﴿ولا يحل للعالم أن يسكت عن علمه﴾ بل قد يجتهد العالم، فيرى السكوت عن بعض المسائل من الحكمة.

من السكوت حكمة:

قال الإمام الذهبي في "السير" (٢/ ٥٩٧): محمد بن راشد، عن مكحول، قال: كان أبو هريرة يقول: «رب كيس عند أبي هريرة لم يفتحه»، يعني من العلم.

قلت: هذا دال على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول، أو الفروع، أو المدح والذم. أما حديث يتعلق بحل، أو حرام، فلا يحل كتمانه بوجه؛ فإنه من البينات والهدى.

وفي "صحيح البخاري" قول الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله!؟اهـ المراد.

قال الحافظ في "الفتح" (١/ ٢٩٧): المراد بقوله: «بما يعرفون»، أي: يفهمون.

وقال سيدي الشيخ سهل بن عبد الله التستري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأعاد علينا من بركاته: ما عصي الله بمعصية أعظم من الجهل، وما أطيع الله بمثل العلم.

وزاد آدم بن أبي إياس في **"كتاب العلم"** له عن عبد الله بن داود، عن معروف، في آخره «ودعوا ما ينكرون»، أي: يشتبه عليهم فهمه.اهـ.

قال الإمام الذهبي في **"السير"** (١٠/ ٥٧٨): ينبغي للمحدث أن لا يشهر الأحاديث التي يتشبث بظاهرها أعداء السنن من الجهمية...، وأهل الأهواء، والأحاديث التي فيها صفات لم تثبت؛ فإنك لن تحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم. فلا تكتم العلم الذي هو علم، ولا تبذله للجهلة الذين يشغبون عليك، أو الذين يفهمون منه ما يضرهم.اهـ، واستفيد الوصول لهذا ولما تقدم في **"السير"** من **"طلب العلم"** (ص ٥٦-٥٧) لخليل العربي.

قوله: ﴿**الشيخ سهل بن عبد الله التستري**﴾ هو من شيوخ الصوفية.

قال شيخ الإسلام في **"الاستقامة"** (١/ ١٥٨): وكلام سهل بن عبد الله في السنة وأصول الاعتقادات أسد وأصوب من كلام غيره، وكذلك الفضيل بن عياض ونحوه؛ فإن الذين كانوا من المشايخ أعلم بالحديث والسنة وأتبع لذلك هم أعظم علما وإيمانا وأجل قدرا في ذلك من غيرهم.اهـ.

قوله: ﴿**ما عصي الله بمعصية أعظم من الجهل**﴾ إنما العبارة الصحيحة في هذا الباب ما نقله الإمام ابن القيم في **"المدارج"** (٢/ ٦٦)؛ حيث قال: الجهل نوعان،

عدم العلم بالحق النافع.

وعدم العمل بموجبه ومقتضاه.

فكلاهما جهل لغة، وعرفا، وحقيقة، قال موسى *عليه السلام*: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] لما قال له قومه: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾

وقال بعضهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قسوة القلب بالجهل أشد من قسوته بالمعاصي.

[البقرة: ٦٧]، أي: من المستهزئين. وقال يوسف الصديق: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، أي: من مرتكبي ما حرمت عليهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٨]، قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ أن كل ما عصي الله به فهو جهالة.

وقال غيره: أجمع الصحابة أن كل من عصى الله فهو جاهل.

وقال الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وسمي عدم مراعاة العلم جهلا إما لأنه لم ينتفع به، فنزل منزلة الجهل، وإما لجهله بسوء ما تجني عواقب فعله. اهـ.

قوله: ﴿قسوة القلب بالجهل أشد من قسوته بالمعاصي﴾ لم تتضح لي هذه المفاضلة! وإنما قامت البراهين بالدلالة على وقوع قسوة القلب بهذا تارة وبذاك تارة.

قد ورد في قسوة القلب بسبب المعاصي قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ﴾ [المائدة].

وورد في قسوة القلب بسبب الجهل قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ

...

قال الشيخ محمد بن علي المنهاجي رحمه الله: قلت: والله أعلم، ولهذا نجد الجاهل يبغض كل من كان طالبا للعلم، ويعد ذلك عيبا.

مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، فإذا كان بعد العهد بالعلم يقسي القلب فالجهل كذلك، أو من باب أولى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في **"مجموعة الفتاوى"** (١٠/ ٩٤-٩٥): المرض دون الموت، فالقلب يموت بالجهل المطلق، ويمرض بنوع من الجهل، فله موت، ومرض، وحياة، وشفاء. وحياته، وموته، ومرضه، وشفاؤه، أعظم من حياة البدن، وموته، ومرضه، وشفائه. فلهذا مرض القلب إذا ورد عليه شبهة، أو شهوة، قوت مرضه، وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه، قال تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الحج: ٥٣]؛ لأن ذلك أورث شبهة عندهم، ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣] ليبسها.

فأولئك قلوبهم ضعيفة بالمرض، فصار ما ألقى الشيطان فتنة لهم، وهؤلاء كانت قلوبهم قاسية عن الإيمان، فصار فتنة لهم.اهـ المراد.

قوله: ﴿محمد بن علي المنهاجي﴾ له ترجمة في **"الأعلام"** (٥/ ٣٣٤-٣٣٥)، واسمه محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، فيكون المصنف قد نسبه ههنا إلى جده.

قوله: ﴿ولهذا نجد الجاهل يبغض كل من كان طالبا للعلم، ويعد ذلك عيبا﴾ سبق الشيخ المنهاجي إلى هذا المعنى، فقد نقل الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى في **"جامع بيان العلم"** (٨٥٤) عن شيخه الإمام ابن الفرضي ما قال فيه: وأنشدني عبد الله ابن محمد بن يوسف:

فلا تلمهم على إنكار ما نكروا ... فإنما خلقوا أعداء ما جهلوا.اهـ.

وقيل في معنى ذلك:

عاب التعلم قوم لا عقول لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضرر

ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة ... أن لا يرى ضوأها من ليس ذا بصر

قوله: ﴿عاب التعلم قوم لا عقول لهم﴾ قد ذكر البيتين الإمام ابن القيم في **"أعلام الموقعين"** (٢/ ٣٧٦) كما ذكرهما المصنف إلا أنه قال بدل «التعلم»: «التفقه».

أفاد المحقق في الحاشية (٣) عزوهما لمنصور الفقيه في **"شعره"** (ص ١٠٣).

وفي هذا المعنى ما قال العلامة تقي الدين الهلالي رحمه الله تعالى في **"الدعوة إلى الله"** (ص ٥٦): ولا يضر السحاب نبح الكلاب،

ما ضر بدر السما في الأفق تنبحه ... سود الكلاب وقد مشى على مهل.اهـ.

وفي سبب أذية الجاهل للعالم ما بينه العلامة الماوردي رحمه الله في **"أدب الدنيا والدين"** (ص ٤٠)؛ حيث قال: لأن الناس لما في طبائعهم من البغضة، والحسد، ونزاع المنافسة، تنصرف عيونهم عن المحاسن إلى المساوئ، فلا ينصفون محسنا، ولا يحابون مسيئا. لاسيما من كان بالعلم موسوما وإليه منسوبا؛ فإن زلته لا تقال وهفوته لا تعذر إما لقبح أثرها واغترار كثير من الناس بها...اهـ المراد.

ثم قال: وإما لأن الجهال بذمه أغرى، وعلى تنقصه أحرى؛ ليسلبوه فضيلة التقدم، ويمنعوه مباينة التخصيص، عنادا لما جهلوه ومقتا لما باينوه؛ لأن الجاهل يرى العلم تكلفا ولوما كما أن العالم يرى الجهل تخلفا وذما.اهـ.

[من أدرك العلم أدرك الخير كله]

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: العلم خير من المال. العلم يحرسك، وأنت تحرس المال. والعلم حاكم، والمال محكوم عليه. والعلم يزيد بالإنفاق، والمال ينقص بالنفقة.

قوله: ﴿علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: العلم خير من المال. العلم يحرسك...﴾ ضعيف.

أخرج الأثر الحافظ أبو نعيم في **"الحلية"** (١/ ٧٩-٨٠) والخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ٤٩-٥٠)، واللفظ له، من طريق أبي نعيم ضرار بن صرد، قال: ثنا عصام بن حميد الحناط، عن أبي حمزة الثمالي، عن عبد الرحمن بن جندب الفزاري، عن كميل بن زياد النخعي، قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي... فذكر نحوه.

ضرار بن صرد متروك، لكن تابعه إسماعيل بن موسى الفزاري عند أبي نعيم في الموضع المذكور، وهو صدوق، فسلم ضعف السند من هذه الجهة.

ولكن بقي ضعفه بسبب الثمالي وابن جندب، فالأول ضعيف كما قاله الحافظ في **"التقريب"**، وقال في ترجمة الآخر من **"اللسان"** (٣/ ٤٧١): مجهول.اهـ.

وأخرجه من وجه آخر الحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (٥٠/ ٢٥٤-٢٥٥).

وفي الإسناد محمد بن حفص بن عمر بن موسى، وهو مجهول العين؛ إذ لم يرو عنه إلا ابنه عبيد الله، ولم يرد فيه توثيق معتبر.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: خير سليمان بن داود صلوات الله عليهما بين العلم والملك والمال، فاختار العلم، فأعطي الملك والمال معه.

وقال الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في قلب من يشاء.

على ما وقع في السند بين يدي من تصحيف في اسم الراوي عن عبيد الله هذا، صورته «عبد الله بن عمر بن عبد الرحمن الوراق»! والظاهر كون صوابه «عبد الله بن عمرو»، فقد ذكر الخطيب في ترجمته من **"تاريخه"** (١١/ ٢٠٤) من جملة شيوخه عبيد الله هذا.

وللأثر طريق ثالثة أخرجها الخطيب في **"تاريخه"** (٧/ ٤٠٨-٤٠٩)، ولكنها قد اشتمل سندها على بعض الكذابين.

وما تقدم من الطرق لا يصلح الاعتبار بها، فلا يخرج الأثر من حيز الضعف.

قوله: ﴿ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: خير سليمان بن داود صلوات الله عليهما **بين...﴾ إنما وجدته مرفوعا، وهو شديد الضعف.**

أخرجه الحافظ ابن عساكر في **"تاريخه"** (٢٢/ ٢٧٤-٢٧٥) من طريق همام ابن مسلم، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعا.

في الإسناد دون همام هذا غير واحد من المجهولين والضعفاء. وأما همام فقد قال الإمام الذهبي في **"الميزان"** (٥/ ٦٣): قال ابن حبان: يسرق الحديث.اهـ.

وأما الرواية الموقوفة فلم أعثر عليها، ولعلها هي أصل المرفوع، والله أعلم.

قوله: ﴿مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في قلب من يشاء﴾ أخرج هذا الأثر القاضي الرامهرمزي في **"المحدث الفاصل"** (٧٣٦) بالإسناد الصحيح إلى الإمام مالك بنحوه.

وقال بعض الحكماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فات من أدرك العلم!

تقدم ما يبين كون العلم نورا. وإنما ذكر المصنف هذا الأثر ههنا بيانا لاستغناء العالم بعلمه عن غيره في حين يفتقر الناس في ظلمات الجهل إلى ما عند العالم من نور، فيقتبسون منه. وقد أشار المصنف إلى هذه المناسبة بذكر الأثر التالي...

قوله: ﴿**ليت شعري**﴾ في معنى العبارة قال الإمام ابن فارس رحمه الله تعالى في **"مقاييس اللغة"** (ص ٤٥١): و«ليت شعري»، أي: ليتني علمت.اهـ.

قوله: ﴿**أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فات من أدرك العلم**﴾ ما أحسن ما شهد به في هذا المعنى الإمام ابن الجوزي، فهي شهادة خبير بالعلوم والعالم، فيستفاد منها عبر لا يدركها الإنسان إلا بعد طول الزمان والعناء، قد أودعها في أسطر يعتبر بها من اعتبر. قال رحمه الله تعالى في **"صيد الخاطر"**: تأملت أحوال الناس في حالة علو شأنهم، فرأيت أكثر الخلق تبين خسارتهم حينئذ، فمنهم من بالغ في المعاصي من الشباب، ومنهم من فرط في اكتساب العلم، ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللذات. فكلهم نادم في حالة الكبر حين فوات الاستدراك لذنوب سلفت، أو قوى ضعفت، أو فضيلة فاتت، فيمضي زمان الكبر في حسرات. فإن كانت للشيخ إفاقة من ذنوب قد سلفت قال: «وا أسفاه! على ما جنيت»، وإن لم تكن له إفاقة صار متأسفا على فوات ما كان يلتذ به.

فأما من أنفق عصر الشباب في العلم فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جني ما غرس، ويلتذ بتصنيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئا بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم.اهـ بواسطة تحقيق **"الرحلة في طلب الحديث"** (ص ١٤٧).

[حفظ فضيلة العلم بالدوام على طلبه]

وما أحسن ما قيل:

مع العلم فاسلك حيثما سلك العلم ... وعنه فكاشف كل من عنده فهم
ففيه جلاء للقلوب من العمى ... وعون على الدين الذي أمره حتم
فخالط رواة العلم واصحب خيارهم ... فصحبتهم زين وخلطتهم غنم
ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم ... نجوم هدى إن غاب نجم بدا نجم
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى ... ولا لاح من غيب الأمور لنا رسم

وعن ابن المبارك، أنه قال: لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

قوله: ﴿مع العلم فاسلك حيثما سلك العلم﴾ قد نقل هذه الأبيات الحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (٢٣٧) عن شيخه، فقال: وأنشدني أبو القاسم أحمد ابن عمر بن عبد الله بن عصفور رحمه الله لنفسه شعره هذا في العلم، وهو أحسن ما قيل في معناه...اهـ.

وقد ذكر في نقله اثني عشر بيتا، اقتصر منها المصنف على الأولين والآخرة.

قوله: ﴿ابن المبارك، أنه قال: لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل﴾ لم أجد هذا الكلام للإمام عبد الله بن المبارك.

خطر التعالم:

يشبه ذكر المصنف لهذا الأثر ترهيبا من ترك المواصلة في طلب العلم؛ فإن من فعل ذلك حل بمكان العالم قبل التأهل ظنا منه وصوله إلى هذه الرتبة. وقد تقرر في القواعد الفقهية معاقبة المستعجل للشيء قبل أوانه بنقيض قصده، فأوجب هذا التصدر قبل الأوان لصاحبه الحكم عليه بالجهل. قال العلامة بكر أبو زيد رحمه الله في **"التعالم"** (ص ٦): قال ابن حزم رحمه الله: لا آفة على العلوم وأهلها أضر من الدخلاء فيها، وهم من غير أهلها؛ فإنهم يجهلون، ويظنون أنهم يعلمون، ويفسدون، ويقدرون أنهم يصلحون.اهـ.

ألا فلينزجر المتصدر قبل أوانه، وإلا فاته خير كثير، فيبقى جاهلا. قال الشيخ بكر في**"التعالم"** (ص ٢٦-٢٧): وبعد فحرام والله، ثم حرام، على من لا يهتدي لدلالة آي القرآن، ولا يدري السنن والآثار، أن يتسنم جناب العلم، ويحل في حرمه معول هدم لحماه وخرق لسياجه وحرمته. وهذا هو المعثر المخذول، علمه وبال، وسعيه ضلال، نعوذ بالله من الشقاء.

وليعلم أن سلطان ما قيدته هنا إنما هو على من انسحب واعظ الله من قلبه متسورا العلم الشرعي، وقد فاته العلم، وفرط في العمل، وانسلخ من الزمن فلا ماض، ولا حال، ولا مستقبل. فاته العلم بالتلقي، ومثافنة الشيوخ، والإمداد السليم، وكثرة الكشف، وطول البحث، وقلب عقول، ولسان سئول. قال أبو بكر الدينوري المتوفى سنة ٥٣٢ هـ رحمه الله:

تمنيت أن تسمى فقيها مناظرا ... بغير عناء والجنون فنون

فليس اكتساب المال دون مشقة ... تلقيتها فالعلم كيف يكون.اهـ.

والعلاج لهذا الاستعجال ما أشار إليه المصنف في ما يلي...

وعن عثمان بن أبي شيبة، قال: سمعت وكيعا يقول: لا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن هو أسن منه، وممن هو مثله، وممن هو دونه.

وفي هذا الصدد ما قاله العلامة العسكري في **"الحث على طلب العلم"** (٤٥):

أحقر نفسي وهي نفس جليلة تكنفها من جانبيها الفضائل
أحاول منها أن تزيد فترتقي إلى حيث لا يسمو إليه المحاول
وإن أنت لم تبغ الزيادة في العلا فأنت على النقصان منهن حاصل.اهـ.

مناط العلاج تلقي العلوم من جهات شتى وطبقات عدة حتى يحصل طالب العلم الكفاية المطلوبة، وبالله التوفيق.

قوله: ﴿وكيعا يقول: لا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن هو أسن منه...﴾ أخرج الأثر الخطيب رحمه الله في **"الجامع لأخلاق الرواي"** (١٦٥٤) من طريق محمد بن الحسن بن زياد المقرئ، نا أبو عمرو الحيري بنيسابور، نا أبو بكر الصوفي خشنام ابن إسماعيل، قال: ثني عثمان بن أبي شيبة به.

محمد بن الحسن بن زياد المقرئ، هو النقاش، نقل الخطيب في **"تاريخ بغداد"** (٢/ ٦٠٦) عن شيخه البرقاني أنه قال: كل حديثه منكر.اهـ.

وخشنام يفيد ما قاله الإمام الذهبي في **"تاريخه"** (١٢/ ٧٤٧) جهالة حاله.

وأخرج الخطيب الأثر عقب ما تقدم بسند آخر فيه من لم أعثر له على ترجمة.

والأثر ضعيف، لكن عمل الأئمة عليه، قال الحافظ في **"هدي الساري"** (ص ٦٧١) في سياق كلامه على شيوخ الإمام البخاري: قوم في عداد طلبته في السن والإسناد، سمع منهم للفائدة كعبد الله بن حماد الآملي، وعبد الله بن أبي العاص الخوارزمي، وحسين بن محمد القباني، وغيرهم. وقد روى عنهم أشياء يسيرة، وعمل في الرواية عنهم بما روى عثمان بن أبي شيبة عن وكيع...اهـ المراد.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «منهومان لا يشبعان، طالب العلم وطالب الدنيا، وهما لا يستويان. أما طالب العلم فيزداد رضا الرحمن، وأما طالب الدنيا فيزداد في الطغيان»، ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق].

قوله: ﴿ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «منهومان لا يشبعان، طالب العلم...»﴾ ضعيف.

أخرجه الإمام الدارمي (٣٤٣) من طريق عون، قال: قال عبد الله... فذكره.

وهذا الإسناد ضعيف لانقطاعه بين عون وبين ابن مسعود، نقل ذلك الحافظ العلائي في **"جامع التحصيل"** (ص ٢٤٩) عن الإمام الترمذي وغيره.

ضابط النهمة في طلب العلم:

أورد المصنف الأثر المذكور للحث على استدامة طالب العلم على طلبه وعدم الشبع منه مهما حصله من العلم، وهو المراد بالنهمة في طلب العلم.

قال شيخنا سعيد بن دعاس رحمه الله تعالى في **"منهجية طلب العلم"** (ص ١٨٦):

قال ابن جماعة في **"التذكرة"** (ص ٦٢-٦٣) في آداب أهل العلم: دوام الحرص على الازدياد بملازمة الجد، والاجتهاد، والمواظبة على وظائف الأوراد من العبادة، والاشتغال، والإشغال، قراءة، ومطالعة، وفكرا، وتعليقا، وحفظا، وتصنيفا، وبحثا. ولا يضيع شيئا من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل إلا بقدر الضرورة من أكل وشرب، أو نوم، أو استراحة لملل، أو أداء حق زوجة، أو زائر، أو تحصيل قوت وغيره مما يحتاج إليه، أو لألم، أو غيره مما يتعذر مع الاشتغال.

وما أحسن قول بعضهم:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا ... فالناس موتى وأهل العلم أحياء

وقيل للحسين بن الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ...

قال: ومع ذلك فلا يحمل نفسه من ذلك فوق طاقتها كي لا تسأم، وتمل، فربما نفرت نفرة لا يمكنه تداركها. بل يكون أمره في ذلك قصدا...اهـ المراد.

قوله: ﴿ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم﴾ قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في **"جامع بيان العلم"** (٢٣٥) قبل ذكر أبيات من ضمنها البيتين الأولين المذكورين ههنا: وينسب إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قوله، وهو مشهور من شعره، سمعت غير واحد ينشده له...اهـ.

قوله: ﴿وقدر كل امرئ ما كان يحسنه﴾ قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في **"جامع بيان العلم"** (٦٠٨): ويقال: إن قول علي بن طالب: «قيمة كل امرئ ما يحسن» لم يسبقه إليه أحد.

وقالوا: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها.اهـ.

في توضيح ذلك يقول العلامة العسكري في **"الحث على طلب العلم"** (١٢): وإذا تدبرت قول أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قيمة كل امرئ ما يحسنه» كنت حقيقا بالاجتهاد في طلب العلم أوان قدرتك عليه غير معذور في التواني عنه والتقصير فيه؛ لأن العاقل لا يعتمد تخسيس قيمته، ولا يغفل عما يرفع من قدره.اهـ.

قوله: ﴿للحسين بن الفضل﴾ قال الحافظ رحمه الله في **"لسان الميزان"** (٢/ ٣٥٣): قال الحاكم: كان إمام عصره في معاني القرآن.اهـ المراد.

هل تجد في القرآن من جهل شيئا عاداه؟ فقال: نعم، في موضعين، قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

قوله: ﴿من جهل شيئا عاداه﴾ تقرر في ما تقدم بيان الترهيب من ترك طلب العلم والإعراض عنه؛ إذ ذلك مؤد لفاعله إلى الجهل، وحشره مع أهله، وعده منهم.

وحين يصير من الجهال عادى من اتصف بالعلم، قال شيخنا أبو حاتم رحمه الله في **"منهجية الطلب"** (ص ١٦٦) عقب كلامه على الانقطاع عن مواصلة طلب العلم بسبب الدنيا: وأعظم من ذلك إذا استبدل شرف طلب العلم بالانخراط في الأهواء، والبدع، والانغماس في الأفكار المنحرفة والتحزبات المقيتة، والتنكر للعلم وأهله؛ لأن ذلك تغيير وتبديل لنعمة الله وحور بعد كور، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

وقد استعاذ النبي ﷺ من الحور بعد الكور، وتبدل النعم، وتحولها.

وهذا بلاء يصاب به كثير من طلاب العلم على مر الأيام، ويفتك بهم على مر الليالي، إلا من عصم الله.

وما أكثر ضحاياه ومئاسيه فيهم، سلمنا الله من ذلك!اهـ المراد.

هذا داء عظيم يجب على الطالب الحذر منه؛ إذ الوقاية خير من العلاج. فكان ذكر المصنف لقول الحسين بن الفضل المذكور هنا ترهيبا عن الرجوع القهقرى ودخول الطالب في زمرة الجهال، فتضيع الفضيلة. وكان في ذلك أيضا، تأكيد الترغيب في الحرص على طلب العلم والاستمرار فيه حفاظا على الفضيلة.

[في حياة العلماء حياة الأمة وصلاحها]

وقال يحيى بن معاذ الرازي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العلماء أرأف بأمة محمد ﷺ وأرحم عليهم من آبائهم وأمهاتهم...

قوله: ﴿العلماء أرأف بأمة محمد ﷺ وأرحم عليهم من آبائهم وأمهاتهم﴾ إن إرث العالم من ميراث الأنبياء بقدر ما يناله من العلم، فكلما ازداد ازداد قربه من النبي ﷺ في التأسي به في هديه، وخلقه، وسائر شئونه المأذون بالتأسي به ﷺ فيه. ومن ضمن ذلك رحمته ﷺ ورأفته بأمته، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

في ظهور العلم صلاح للكون:

بازدياد العالم من العلم يزداد خيره، فيزداد خير الأمة المقتبسة من مشكاة هذا العلم، فيصلح سائر أحوالها. بل تصلح بسبب ذلك أحوال سائر الخلق المطيعين لله سبحانه، قال العلامة ابن القيم في **"مفتاح دار السعادة"** (ص ١٧٤-١٧٥):... وقوله ﷺ: «**إن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء**»؛ فإنه لما كان العالم سببا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع الهلكات، وكان سعيه مقصورا على هذا، وكانت نجاة العباد على يديه، جوزي من جنس عمله، وجعل من في السماوات والأرض ساعيا في نجاته من أسباب

وذلك أن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وآفاتها، والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وشدائدها.

الهلكات باستغفارهم له. وإذا كانت الملائكة تستغفر للمؤمنين فكيف لا تستغفر لخاصتهم وخلاصتهم!؟

وقد قيل: إن «**من في السماوات ومن في الأرض**» المستغفرين للعالم عام في الحيوانات، ناطقها، وبهيمها، وطيرها، وغيره. ويؤكد هذا قوله: «**حتى الحيتان في الماء وحتى النملة في جحرها**».

فقيل: سبب هذا الاستغفار أن العالم يعلم الخلق مراعاة هذه الحيوانات، ويعرفهم ما يحل منها وما يحرم، ويعرفهم كيفية تناولها، واستخدامها، وركوبها، والانتفاع بها، وكيفية ذبحها على أحسن الوجوه وأرفقها بالحيوان. والعالم أشفق الناس على الحيوان وأقومهم ببيان ما خلق له.

وبالجملة فالرحمة والإحسان التي خلق بها ولها الحيوان، وكتب لها حظها منه، إنما يعرف بالعلم...اهـ المراد.

ظهر بما تقدم مناط صلاح الكون بالعلم وظهوره. وصلاح الكون من رحمة الله التي أنزلها؛ ليترحم بها الناس في ما بينهم إذا هم عملوا بمقتضى العلم.

قوله: ﴿**والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وشدائدها**﴾ هذا من رحمة العالم بالناس، بل هو أعظم ما يرحمهم به؛ إذ يرشدهم إلى النجاة من شدائد الآخرة. وقد قال شيخنا أبو حاتم في "**المنهجية**" (ص ١٨٠): قال الفيروزآبادي في "**بصائر ذوي التمييز**" (١/ ٥٢) في شروط التعلم: أن يراعي حق أستاذ التعليم؛ فإنه أب. سئل الاسكندر عن تعظيمه معلمه أكثر من تعظيمه والده، فقال: هذا أخرجني إلى العناء والفناء، ومعلمي دلني على دار الهناء والبقاء.اهـ.

وقال سفيان الثوري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: العجائب عامة، وفي آخر الزمان أعم. والنوائب طامة، وفي أمر الدين أطم. والمصائب عظيمة، وموت العلماء أعظم. وإن العالم حياته رحمة للأمة، وموته في الإسلام ثلمة.

وعن معاذ: تعلموا العلم؛ فإن تعلمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة.

قوله: ﴿**والمصائب عظيمة، وموت العلماء أعظم**﴾ على العكس مما تقدم بيانه ذهاب العلم وعدم ظهوره سبب لذهاب الخير وحلول الفساد، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله كما في "**مجموع رسائله**" (٢/ ٣٠٤): فإن العلم إذا ظهر في الأرض، وعمل به، درت البركات، ونزلت الأرزاق، فيعيش أهل الأرض كلهم حتى النملة وغيرها من الحيوانات ببركته. ويستبشر أهل السماء بما يرتفع لأهل الأرض من الطاعات والأعمال الصالحات، فيستغفرون لمن كان السبب في ذلك.

وعكس هذا أن من كتم العلم الذي أمر الله بإظهاره لعنه الله، وملائكته، وأهل السماء والأرض، حيث سعى في إطفاء نور الله في الأرض الذي بسبب إخفائه تظهر المعاصي، والظلم، والعداوة، والبغي.اهـ.

قوله: ﴿**معاذ: تعلموا العلم؛ فإن تعلمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح...**﴾ **موضوع نظرا للطريق المطلع عليها، وله أخرى عسى أن يكون ثابتا بها.**

أخرج الأثر الحافظ ابن عبد البر في "**جامع بيان العلم**" (٢٦٩) من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم، يحدث عن رجاء بن حيوة، عن معاذ... فذكر نحوه في سياق طويل.

ونوح بن أبي مريم قال الحافظ في "**التقريب**": كذبوه في الحديث.اهـ.

ويضاف إلى ما تقدم انقطاع سنده بين رجاء وبين معاذ.

وما أحسن قول الزمخشري:

وكل فضيلة فيها سناء ... وجدت العلم من هاتيك أسنى

فلا تعتد غير العلم ذخرا ... فإن العلم كنز ليس يفنى

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوع.

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: موت ألف عابد قائم الليل، صائم النهار، أهون...

قال الحافظ ابن عبد البر قبل إخراجه: ورويناه من طرق شتى موقوفا...اهـ.

عسى أن يثبت الأثر بمجموعها لما قاله شيخ الإسلام في **"درء تعارض العقل والنقل"** (٩/ ٢١): هذا الكلام معروف عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورووه عنه بالأسانيد المعروفة.اهـ المراد.

وفي بقية سياق الأثر ما هو أظهر في بيان صلاح الأمة وحياتها بحياة العلماء.

قوله: ﴿الزمخشري﴾ هو معتزلي، من أئمتهم ودعاتهم.

قوله: ﴿أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف...﴾ ضعيف جدا.

أخرجه الخطيب في **"الفقيه والمتفقه"** (١/ ١٦) والإمام ابن عبد البر في **"جامع بيان العلم"** (١١٥) من طريق حجاج بن نصير، نا هلال بن عبد الرحمن الحنفي، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة وأبي ذر، قالا... فذكره.

قال الحافظ الذهبي في ترجمة هلال بن عبد الرحمن هذا من **"ميزان الاعتدال"** (٥/ ٦٨): قال العقيلي: منكر الحديث.اهـ.

حجاج بن نصير قال الحافظ في **"التقريب"**: ضعيف، كان يقبل التلقين.اهـ.

قوله: ﴿عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: موت ألف عابد قائم الليل، صائم النهار، أهون...﴾

من موت العالم البصير بحلال الله وحرامه

والكلام في هذا يطول، ولنختم هذا النوع بحديث نبوي ورد في **"الصحيحين"** عن **عبد الله بن عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء. حتى لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا**».

قوله: ﴿**عبد الله بن عمرو بن العاص** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **قال: سمعت رسول الله** ﷺ...﴾ أخرجه الإمام البخاري (١٠٠) والإمام مسلم (٢٦٧٣).

ترئيس الجهال سبب البدع وغيرها من الفساد:

قال العلامة بكر أبو زيد في **"التعالم"** (ص ٣٧-٣٨): وقال الشاطبي رحمه الله في **"الاعتصام"** (٢/ ٨١) ما نصه: وكذلك تقديم الجهال على العلماء وتولية المناصب الشريفة من لا يصلح بطريق التوريث هو من قبيل ما تقدم؛ فإن جعل الجاهل في موضع العالم حتى يصير مفتيا في الدين ومعمولا بقوله في الأموال، والدماء، والأبضاع، وغيرها، محرم في الدين.

وكون ذلك يتخذ ديدنا حتى يصير الابن مستحقا لرتبة الأب، وإن لم يبلغ رتبة الأب في ذلك المنصب بطريق الورثة، أو غير ذلك، بحيث يشيع هذا العمل، ويطرد، ويرده الناس كالشرع الذي لا يخالف، بدعة بلا إشكال، زيادة إلى القول بالرأي غير الجاري على العلم، وهو بدعة، أو سبب البدعة، كما سيأتي تفسيره، إن شاء الله. وهو الذي بينه النبي ﷺ بقوله: «**حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا**».

وإنما ضلوا، وأضلوا؛ لأنهم أفتوا بالرأي، إذ ليس عندهم علم. انتهى.اهـ.

وهذا التعليق لا يحتمل أكثر من هذا، وفي ما ذكرته مقنع.

اللهم! إني أسألك بجاه نبيك محمد ﷺ أن ترزقني علما نافعا، وتختم لي بخير، وتحشرني في زمرة من ذكرتهم بقولك تبارك اسمك: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ

قوله: ﴿اللهم! إني أسألك بجاه نبيك محمد ﷺ﴾ قال الإمام الألباني في **"التوسل"** (ص ٤٦-٤٧) عقب ذكر أنواع التوسل المشروع: وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلاف... والذي نعتقده، وندين الله تعالى به، أنه غير جائز ولا مشروع؛ لأنه لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة، وقد أنكره العلماء المحققون في العصور الإسلامية المتعاقبة.

مع أنه قد قال ببعضه بعض الأئمة، فأجاز الإمام أحمد التوسل بالرسول ﷺ وحده فقط. وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين. ولكننا كشأننا في جميع الأمور الخلافية ندور مع الدليل حيث دار، ولا نتعصب للرجال، ولا ننحاز لأحد إلا للحق كما نراه، ونعتقده. وقد رأينا في قضية التوسل التي نحن بصددها الحق مع الذين حظروا التوسل بمخلوق.

ولم نر لمجيزيه دليلا صحيحا، يعتد به.اهـ المراد، واستفيد الوصول إلى هذا الموضع بواسطة **"قاموس البدع"** (ص ٣١٤).

ومن الأحاديث المشار إليها ما عمل به المصنف ههنا، قال العلامة الألباني في **"التوسل"** (ص ١٢٨): «**توسلوا بجاهي؛ فإن جاهي عند الله عظيم**»، وبعضهم يرويه بلفظ «**وإذا سألتم الله فاسألوه بجاهي؛ فإن جاهي عند الله عظيم**».

هذا باطل، لا أصل له في شيء من كتب الحديث ألبتة.اهـ.

وقال رحمه الله قبل ذلك (ص ٤٤-٤٥):... وليس معناه أنهم كانوا يقولون في دعائهم: «اللهم! بجاه نبيك اسقنا»، ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته ﷺ:

أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، آمين، يا رب العالمين!

«اللهم! بجاه العباس اسقنا»؛ لأن مثل هذا دعاء مبتدع، ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، ولم يفعله أحد من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم.اهـ المراد، واستفيد الوصول إلى هذا الموضع من **"قاموس البدع"** (ص ٣٢٥).

إلى هنا انتهى ما يسره الله تبارك وتعالى من شرح لهذه المقدمة، والتخريج، والتنبيه لما يحتاج إليه، ولله الحمد والمنة. وكان فراغ كتابة هذه الرسالة في بيتي في تفليت، بادية من البوادي التابعة لمدينة العروي في إقليم الناظور في شمال المغرب، حرسها هي وسائر بلاد المسلمين ربنا تعالى. وذلك ليلة الأحد العشرين من شهر رجب سنة ألف وأربعمائة وأربع وأربعين من هجرة النبي ﷺ.

سبحانك، اللهم! وبحمدك
أشهد أن لا إله إلا أنت،
أستغفرك، وأتوب
إليك...

فهرس الفوائد

في الحاشية

الفائدة	الصفحة
معرفة الله بالتفقه	١٢
طلب العلم سبب ينال به محبة الله	١٣
تقديم كلام أهل العلم على من سواهم	١٨
العلم علامة إرادة الله بطالبه خيرا في الدنيا والآخرة	٢٢
الرفعة بالعلم بحسب معاملة قلب صاحبه به	٢٧
الأدب في رواية الإسرائيليات	٢٨
على المرء طلب علم ما يتعبد به لربه	٣٠
كفى للعلم شرفا كونه إرث الأنبياء	٣٣
النجاة للعالم، والمتعلم، والمستمع، والمحب لذلك	٣٨
وجه فضل العلماء على العباد	٤٤
تفضيل العلماء على الشهداء بحسب الصديقية	٤٦
الرفعة تنال بالبدار إلى التعلم	٥٠
إذهاب نور العلم ظلمة الجهل الحندس	٥٧
جزاء النور النور	٦٠
إقامة الحجة	٦٤
من السكوت حكمة	٦٥
خطر التعالم	٧٤
ضابط النهمة في طلب العلم	٧٦
في ظهور العلم صلاح للكون	٧٩
ترئيس الجهال سبب البدع وغيرها من الفساد	٨٣

فهرس

الموضوعات

الموضوع الصفحة

حول المؤلف والمتن المشروح ٧
- اسمه ومذهبه: ٧
- مكانته العلمية: ٧
- المتن المشروح: ٨

[مقدمة] ٩
[خشية العبد على قدر علمه] ١١
[قدر كلام أهل العلم] ١٧
[أتم الناس عقلا العلماء] ٢٠
[العلم فضل الله يؤتيه من يريد به خيرا] ٢١
[رفعة أهل العلم الحسية والمعنوية] ٢٦
[طلب العلم فريضة] ٢٩
[الدعاء لطالب العلم] ٣٠
[حف الملائكة لطالب العلم] ٣٢
[العلم إرث عظيم الشأن] ٣٣
[شفاعة العلماء] ٣٤
[خيرية أهل العلم] ٣٦
[العلم نجاة] ٣٧
[فضل العلماء على العباد] ٤٠
[تفضيل العلماء على الشهداء] ٤٥
[الحث على التعلم] ٤٧

[السعي في طلب العلم دليل العقل] ٥٢
[تفضيل العلم على نوافل العبادات] ٥٥
[العلم نور في ظلمة الجهل وحياة للقلب] ٥٧
[ذم الجهل] ٦٣
[من أدرك العلم أدرك الخير كله] ٧٠
[حفظ فضيلة العلم بالدوام على طلبه] ٧٣
[في حياة العلماء حياة الأمة وصلاحها] ٧٩
فهرس الفوائد في الحاشية ٨٧
فهرس الموضوعات ٩١